15em Année No. 729

Lundi — 23 — 6 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــــدد ٧٢٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ شعبان سنة ١٣٦٦ — ٢٣ يونية سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

منا كفة المـــرأة

للأســـــتاذ عباس محمود العقاد

« النك » عند العامة هو معاودة المرأة الكلام الذى تقصد به الإساءة وتغمغم به غالباً كأنها تزعم أنها تخاطب نفسها وهى تخاطب من تعنيـه ويستمع إليها فى تلك اللحظة . وأ كثر ما يكون « النك » من قبيل الغمز أو التصريح الذى تجرح به غرور الرجل أو تتناول به موضع الضعف منه وهو يتحاشى أن يصاب فيه ، ولا سيما أمام المرأة التى يهمه أنْ يظهر لها فى مظاهر القوة والرجاحة على الأقران .

والعامة يحكون بكلمة « النك » صوت المرأة وهى تلح فى تلك الغمغمة كأنها تعاود الطرق أو الدق على نغمـة واحدة لا تسأمها وهى موجبة للسآمة .

ولهذا تتفق الـكلمة وما يقابل معناها فى بعض اللغات الأوربية ، لأن صوت الطرق أو الدق واحد فى جميع الآذان . فيقول الإنجليز مثلا نج «Nag» ليعبروا بها عن منا كفة النساء من هذا القبيل .

ويظهر أن المادة فى اللغة العربية تتسع لـكثير من الـكلمات فى هذا المعنى وما قاربه من معانى الدق والوخز والمنا كفة . فإذا صح أن الـكلمات كلها ثنائية فى نشأتها الأولى ثم زيد عليها حرف أو حرفان للزيادة فى معناها فعندنا من هذه المادة ومن هذا الباب كلمات « نكأ ونكت ونـكث ونـكز ونـكش ونـكف » متقاربة فى معنى الوخز والتجريح كأنه يأتى من الضرب بأداة تحدث ذلك الصوت الـمكتوم .

والنك قديم فى العالم كقدم لسان المرأة . ما نظن أن أذن آدم أخطأته من لسان حواء ، ولا نظن أنه يضل سبيله بين الألسنة والأسماع حيث يوجد الرجال والنساء .

فمن «النك» كلام امرأة الأخطل وهى تذكر زوجها القديم وهو يجيبها بذينك البيتين :

كلانا على هم يبيت كأنما ... بجنبيه من مس الفراش قروح
على زوجها الماضى تنوح وإننى ... على زوجتى الأخرى كذلك أنوح

ومن النك كلام الأعرابية التى كانت تحدث صاحبها عن زوجها الأول ويسألها بماذا تذكره من أحواله التى لا تنساها . فلما قالت إنه خرج ذات يوم فرمى وطرد وقنص وعاد وعليه الغبار والدم «فضمنى ضمة ، وشمنى شمة ، فليتنى مت ثمة » ذهب الأبله يحكيه وعاد وعليه الغبار والدم ، فضم وشم ، فتمنت الموت ثم ، ولـكن من الأسف والغم ، وتركته وهى تقول : ماء ولا كصدّاء !

ومن « النك » كل ما حكاه أجواد العرب وشعراؤهم عن تبكيت نسائهم لهم وملامتهن إياهم على تضييع المال وعجزهم عن محاكاة الأنداد والأمثال .

ويلتبس «النك» بأسلوب آخر من أساليب المغايظة النسائية وهو أسلوب التدلل والاستزادة فى مقام الرضى والمحبة ، وقد عناه

الشاعر بقوله :

أحب اللواتى فى صباهن غرة وفيهن عن أزواجهن طماح
مسرّات حب مظهرات عداوة تراهن كالمرضى وهنّ صحاح

ولكنهما — وإن اختلفا — يدلان على أن المرأة لا تحب أن تريح إذا استطاعت أن تتعب وتغيظ !.. فهى فى « النك » أو فى الدلال على هذه الحال .

***

وإذا كان « النك » قديماً فى الزمان فهو كذلك شائع فى فى كل مكان ، وهو فى البلاد التى بلغت فيها المرأة غايتها من حرية الزواج والطلاق لا يقل عنه حيث لا تملك المرأة حقاً من حقوق الزواج والطلاق .

فلا عجب أن يكون موضع بحث متجدد بين علماء الأوربيين بل بين علماء الأمريكيين فى الشمال وفى الجنوب ، حيث أصبحت المرأة غنية عن «النك» بسرعة النظر فى أمر الطلاق، فلو شاءت لطلبت الطلاق واستغنت به عن المناكفة واللدغ باللسان ... ولكنها تشاء حيناً ولا تشاء فى أحيان ، لأن مضغ الكلام لذة تطلب لذاتها كمضغ اللّبان !

وآخر ما قرأناه من البحوث فى هذا «النك» الذى لا يفرغ ولا ينتهى بحث طريف نشرته « خلاصة المجلات » الأمريكية Magazine Digst وأثبتت به أن لغة «النك» واحدة فى جميع اللغات ، وأن العلم بأسبابه يفيد فى بلادنا كما يفيد فى جميع البلاد .

فمن أسبابه « الجوع الجنسى » وقد يتعرض له الزوجان وهما صحيحان وكلاهما صالح للزواج والنسل ولكنهما لا يتلاءمان فى خصائص البنية الجنسية أو فى خصائص المزاج .

ومن أسبابه « زواج الحب » كما يسمونه إذا كان قصارى مايعرفه الزوجان من الحب أن يحب أحدهما الآخر ، ثم لا يصنعان شيئاً غير قضاء الوقت فى هذا الحب المتبادل .

ويقول الكاتب فى شرح هذا السبب إن المهم فى الحب بين الزوجين أن يشتركا فى حب أشياء كثيرة ، لا أن يحب أحدهما الآخر وكفى .

فالزوجان اللذان يشتركان معاً فى حب الموسيقى أو حب الرياضة الخلوية أو حب الحدائق والأزهار أو حب المطالعة والتعليق على الشئون العامة أقدر على اجتناب « النك » من زوجين يجمعهما الحب ويسأمانه بعد عشرة قصيرة أو طويلة . فينفد ما بينهما من دواعى القرب والاتصال .

وقد يدوم حب المصلحة أو حب التفاهم بين الزوجين الذكيين لأن المصلحة والذكاء شيئان يقبلان الدوام ، أما الحب وكفى فقلما يدوم أو يطول به الأجل ، وقلما يسلم البيت الذى يقوم عليه من آفة « النك » بعد شهور ، أو بعد سنين .

ومن أسباب « النك » سوء الحالة المالية ، وقد يكون الخلاف على التصرف بالمال عرضاً لداء آخر فى نفس المرأة ، وهو عرض الشعور بالنقص أو الشعور بالحرمان .

وإذا أصيبت المرأة بشعور النقص لسبب من أسبابه الكثيرة فقد تظهر هذه الآفة منها فى مظاهر شتى بعيدة كل البعد من مظاهرها المألوفة .

قد تظهر منها مثلا فى فرط النظافة أو فرط الحركة والاهتمام بالتنظيم والترتيب ونقل الأثاث والتنقل بين المساكن لغير سبب مفهوم .

وقد تظهر منها فى التوجس والعبادة وتصديق الخرافات وخوف العقاب على المحرمات أو ماتتوهم أنه من المحرمات. فلا تزال « تنك » فى موضوع من هذه الموضوعات ، وهى تغالط نفسها فى الحقيقة ولا تقبل التسليم بينها وبين ضميرها بالسبب الصحيح ، ولو عرفت السبب الصحيح .

والفراغ طبعاً من أسباب « النك » التى لا تفرغ ؛ لأنه يملأ الوقت ويثير الحس ويعوض الزوجين عن الشواغل والأعمال التى تقضى فيها أكثر الأوقات .

وسوء الصحة من أقوى هذه الأسباب . فإن الشكوى من عادات المرأة المتأصلة فى طباعها ، فإذا تحركت فيها بواعث الشكوى من المرض أو الاعتلال فوق هذا الباعث الأصيل غلبتها الطبيعة والعلة معاً فعجزت عن السكوت والتمست لها متنفساً فى الإعادة والإبداء والمناكفة والإيذاء .

وقياساً على هذا يحسب « للنك » سبب يتكرر كل شهر مرة ، ويتساوى فيه جميع النساء . ولا بد فيه من نوبة غم أو لغط أو صياح تخلقها المرأة خلقاً إن لم تسعفها بها الحوادث والمناسبات

وقلما تتوالى الحوادث والمناسبات عن الإسفاف بمثل هذه النوبات فى وقت من الأوقات .

* * *

هذه جملة صالحة من أسباب « النك » عند جميع النساء فى جميع البلدان ، وبين جميع الأجناس .

ونحن نعرفها فنستفيد ولا شك من هذه المعرفة كما نستفيد من كل معرفة .

ولكن هل معنى ذلك أننا نقضى على الداء إذا عرفنـــا حقيقة الداء ؟

كلا . فمهما يطل الكاتبون والقائلون من « النك » فى هذا الموضوع فالنك نفسه باق إلى آخر الزمان ، ما بقى للمرأة لسان وللرجل أذنان تسمعان أو لا تسمعان .

عباس محمود العقاد

القسم الرابع :

فرنســـا ومستعمراتها

للأستاذ أحمد رمزى بك

« فكرة الاتحاد الفرنسي قديمة : عبر عنها جبريل هانوتو بقوله : وحدة الامبراطورية وحدة الارادة والتشريع والعمل ، وحدة الشعور والارادة الحرة . ليست بالعنف والقوة والفتح ولكن باللين والترغيب تتم الوحدة الفرنسية » .

وتتميز آراؤه بخطورتها على الأمم المغلوبة وأثرها فى نفوس الفرنسيين وسرعة تغلغلها فى أوساطهم

جبرييل هانوتو من كبار رجال فرنسا ، ظهرت مزاياه وشخصيته فى أعماله وكتابته وأقواله ، فإذا هو يؤثر فى جيل بأكمله من الناس ، كتب كثيراً عن تاريخ فرنسا وأمجادها ، وعرف الناس ما لم يعرفوا عنها ، وكتب عن تاريخ الأمة المصرية ، وأشرف على إخراج كتاب على الأسلوب الذى ووفق له والمستشرقين ، وهو رجل دائم الإنتاج ، لم يترك عملا من أعمال الخلق إلا كتب فيه ، ولا نشاطاً إلا جال فيه وصال . كان من أولئك الذين يعملون بالمثل اللاتينى القائل :

« إنى بشر مثلهم ، ولن أترك (ليكون غريباً) عنى عملا من أعمال البشر » !

فكان من الطبيعى والضرورى أن يلفت الاستعمار الفرنسى أنظار الشيخ ، ولذلك كتب فيه وأطال ، وهو القائل فى كتاب له عنوانه « من أجل الامبراطورية الفرنسية » :

هل ترغب فرنسا أن تحيا حياة الأمم الفتية الناهضة ؟ أم ستلحق بغيرها من الأمم الفانية التى ذهبت ريحها ؟

هل ستفنى كما فنيت بزنطة ؟ وهل تتبع قرطاجنة وتلقى مصيرها ؟

إذا عاشت فرنسا بعظمتها وقوتها وأمجادها ، وهذا ما لا أشك فيه (هذا قوله هو) فلتكن متجهة بنشاطها وفكرها وعبقريتها إلى مستعمراتها

هناك تبرز شخصيتها الخالقة وتنمو علائقها مع تلك العائلة التى جمعتها حولها : عائلة المستعمرات الفرنسية

كانت صيحة ورناجاً قذف بهما هذا الشيخ الفانى فتلقفهما رجال الاستعمار ، قال هذه الكلمة بعد أن أمضى السنين يدرس ويبحث ويقيد ويسجل

وخطر هانوتو أنه رجل من رجال الفكر والدهاء ، يجمع بين البحث والعلم والفلسفة ، ينظر للاستعمار نظرة المحلل الطاغية الذى لا تتطرق الرحمة إلى قلبه

أتدرى بمن أشبهه ؟ بهذا الفريق أو الرعيل من دهاة العرب الذين نبغوا فى العصر الأول من الهجرة ، فقادوا الحركات الكبرى أو مهدوا لها بفكرهم وعقلهم : هذا الفريق الذى فيه معاوية وعمرو بن العاص ، إننا لن نجد اليوم بين مجموعة الدول العربية من تسمو به كفايته إلى هذا الفريق من السلف الخالد .

أما هانوتو فكان داهية من دهاة الفرنسيين ، تلمس روحه وأنفاسه فى كل جهة بدون أن تظهر شخصيته ، فهو من أولئك الذين يضعون الخطط لبلادهم لسنوات بعيدة ، ويرسمون لحكوماتهم برامج السير مع الأمم التى نكبت بالاستعمار ، وهو مثل من كثير غيره ، ولكن لكثرة ما قرأت عنه أرانى فى حل إذا وضعته فى صف دوفرن السفير البريطانى فى اسطانبول وملنر صاحب المشروع المشهور ، وكلاهما من دهاة الاستعمار

البريطاني الذين وضعوا الخطط الطويلة المدى لبلادهم ، ولا نزال نحن بمصر نجاهد للخروج من نطاق تقرير دوفرين عن الشئون الدستورية ، ونكافح للخروج من دائرة ملنر في الناحية السياسية.

ولا تعجب من تقرير ذلك ، فإن الاستعمار الأوربي في نكباته ومصائبه لا يعد شيئاً بجانب مقدرته على التطور والظهور بألوان مختلفة ، وهو أكبر نشاط إنساني قام به البشر منذ الخليقة إلى اليوم ، بل هو دعامة المدنيـة الحالية ومظهر قدرتها وتفوقها ، بل لا نبالغ إذا قلنا إن مظاهر الترف ومستوى الحياة لدى جماعات من الأوربيين سوف تنهار أو تهبط بتفكك الروابط مع المستعمرات ، ولذلك نجد الدول الأوربية أشد تمسكاً بهذه الروابط من أي عهد مضى . وترى أنها تجتهد أن تسالم الحركات القائمة وتسايسها وتخضع لبعض مطالبها ، حتى تحتفظ بما لها من سيطرة على هذه الشعوب

وهذا الاتجاه هو أخطر ما يواجه الأمم الإسلامية الناشئة ، لأننا لن نتغلب على الاستعمار إلا إذا فهمنا هذا النوع من العمل الإنساني ، ولن نصل إلى الخروج عن نطاقه إلا إذا بعث الله لنا من أنفسنا رجالاً أقوياء أشداء يدفعون عنا وبلانه بعزيمتهم وقوتهم ولهم من الفكر والمضاء في الحق ما يمكنهم من نقلنا من حالتنا التي نحن فيها إلى حالة تقرب من المنطق والمعقول ، أو تكون أقرب إليهما من الحالة التي نعيش فيها اليوم .

وأعود إلى هانوتو فأقول إنه قد لا يكون أول من نادى بفكرة الاتحاد الفرنسي ، فقد يكون هناك غيره ممن تقدمه ، ولكني أعجب به من ناحية أنه من فلاسفة ومفكري الاستعمار ، الذي لمسوا تقدم الدنيا وتنبهوا لما قد تأتي به الأيام ، فتقدموا بآراء ومشاريع وأفكار لم تكن بعيدة عن الحقيقة .

ثم هو مع دهائه وفكره وبصيرته لم تشغله مظاهر الدنيا والثراء وحب النفوذ ، كما شغله حب بلاده ورغبته في بقائها ، فتحكم على ربوع المستعمرات وفي رقاب أهلها ، وهو حينما يكتب وينشر آراءه وسمومه لا يهمه شخصه ؛ وإنما يؤمن بشيء واحد هو بقاء سيطرة فرنسا على مستعمراتها .

فهو يؤمن بأن بقاء الجماعات متوقف على الأنظمة[1] التي تربطها ، وهذه يجب أن توضع على أسس صالحة قوية ، بل إن الأنظمة هي روح الجماعات ، بقدر صلاحها تصلح الجماعة ، وإذا فسدت انهار كيان الجماعة .

ولهذا فالإمبراطورية في نظر هؤلاء كائن حي يجب أن يعيش وينمو ، وإن قوته مستمدة من الأنظمة التي تربط المستعمرات بالوطن الأم ، وإن أنظمة الحكم يجب أن تطرد مع الزمن حتى لا يعتورها ويصيبها الجمود ، وهو علة المجتمعات والداء العضال الذي يصيب الامبراطوريات ويقضي عليها كما قضى على ملك روما وبيزانطة وغيرهما .

فهذه الفلسفة الاستعمارية لم تقف عند حد النظريات ، بل أخذت تجلى في العلاقات بين الدولة الحاكمة والأمم المغلوبة ، وتتخذ طريق التجربة والاستقراء في مختلف النواحي

وحقيقة للعالم هي : أن السيطرة الأوروبية سواء كانت فرنسية أو غيرها سادت العالم وشعوبه واحتلت المكان الأول وفرضت إرادتها أينما حلت ، إلا في الجهات التي ساد فيها الإسلام فهناك واجهت المصاعب واضطرت أن تسير على حذر وعلى قدر ، ولذلك تلقى الإسلام والعرب أكبر الطعنات في التاريخ ، وفي سبيل هدمه أعطى ذلك اللون البراق للمدنيات القديمة التي انقرضت في مصر وبابل وأشور وفارس ، وهذا يفسر لنا تهجم هانوتو وغيره على العرب وطعنه على تاريخهم ووصفه للاسلام بأنه عدو للعلم والمدنية .

لأن الضعف يوجد تسليما وخضوعاً ، وهذا ما تم في ربوع أفريقية السوداء ، أما حيث ساد الإسلام فقد وقف المسلمون يقارعون الاستعمار وجهاً لوجه ، وبقي خطر الدعوة المحمدية ماثلا أمام المستعمرين ، ولذلك كثر أعداؤنا لأننا أقوياء : والقوي يخلق أعداء لنفسه ، ومن هؤلاء جبريل هانوتو الذي تولى يوماً الإمام محمد عبده دفعه عن الإسلام في كتاب له مشهور ومواقف مشهودة أمامه .

ويذكرني هذا بما قرأته في مقدمة كتاب الإسلام وسياسة الخلفاء الذي كتبه أريكو انساباتو « يقف العالم الإسلامي في مواجهة أوروبا موزعاً بين أملاك الدول المختلفة والقوميات الحديثة يقاوم بشدة وعنف وعناد معتمداً على وحدته الدينية وصبغته المالية التي تعطي لحركاته مظهراً ينفرد به عن غيره »

(١) Institutions

فالسياسة الاستعمارية وقفت إزاء المسلمين حائرة ، وهي التي انتهت إلى اعتبار الإسلام عدواً لدوداً للاستعمار الأوروبي ووصفته بالرجعية والتأخر لأن قناته لم تلن لجبروت الدول الاستعمارية .

وعلى هذا رسمت الخطط لاستبعاد الإسلام ما أمكن من المناطق التي قد يسود فيها : وفي هذه الناحية بالذات ظهرت قرارات لمؤتمر برازافيل تتفق مع قرارات حكومة السودان بشأن التضييق على حرية العبادة ومنع تغلغل الإسلام في إفريقيا الوسطى وهذا مما جعل للاسلام قضية سوف نعرض لها يوماً لعرضها على الضمير العالمي .

ولم تكن فرنسا بحاجة إلى إعلان الاتحاد الفرنسي والدعوة إليه لو كان الأمر متعلقاً بالمستعمرات الإفريقية وحدها ، أما والأمر متعلق بشمال إفريقية حيث يسود الإسلام ، ولذلك قامت أمامها العقبات وحشدت القوات .

وقد كان من أيسر الأمور عليها فرض الثقافة واللغة والدين والأسماء الفرنسية وإيهام الجنود السود أن آباءهم من بلاد الغال وأنهم فرنسيون دماً وروحاً وفيهم من يصدق ويتحمس لذلك .

أما والإسلام والعروبة بالمرصاد ، هنا يبدو الاتحاد متردداً يسير بخطوات وئيدة ، ويستنير بآراء هانوتو وغيره ، وفي ذلك يقول صاحب كتاب الإسلام وسياسة الحلفاء : « إن للاسلام سياستين : واحدة استعمارية تتعلق بالمستعمرة ، وأخرى عالمية تتبعه وتلاحقه في مشارق الأرض ومغاربها » . وهما يلتقيان في ناحية واحدة وهي إبعاد الأخطار ما أمكن ؛ تلك الأخطار التي يسببها للدول الأوروبية وجود ملايين من المسلمين على الأرض ، يمثلون في إفريقية خطراً لا يستهان به نظراً لازديادهم عاماً بعد عام .

في القرون الماضية فقدت فرنسا مستعمراتها لأن البحر كان فاصلا والمسافات بعيدة ، واليوم تحاول فرنسا فرض إرادتها على أقطار شاسعة ، فإذا بالإسلام أبعد غوراً من البحار والمحيطات : وهي لن تقدر عليه لأنه من نور الله .

ولذلك ستسير شعوب الجزائر وتونس ومراكش نحو التحرر والخلاص رغم المصاعب التي تقيمها فرنسا وحكوماتها المختلفة واتحادها ووحدتها : لأنها شعوب عربية إسلامية قوية لا تلين .

لقد استعرضت فرنسا أنواع الاستعمار المختلفة فبدا لها الاستعمار السوفييتي الروسي بلون خلاب ، وخيل إليها أنه قد قضى نهائياً على نفوذ الإسلام من ربوع آسيا الوسطى ، وفي هذا خطأ كبير فارادت أن تستعين بأساليبه في هذه الناحية وفي بعض النواحي الأخرى ، ولذلك ترغب أن تؤسس اتحادها على شكل يشبه اتحاد روسيا وسنعرض بعد قليل للاتحادين في مقال لاحق بإذن الله .

أحمد رمزي

وقفة على الفسطاط !

للأستاذ علي الطنطاوي

قرأت في مذكرات حضرة صاحب السمو الملكي الأمير محمد علي المطبوعة في مصر في ٩ ربيع الأول سنة ١٣٦٦ هـ أنه كان يتولى رياسة لجنة حفظ الآثار العربية ، فقررت اللجنة سنة ١٣٢٩ هـ (إصلاح جامع عمرو وتجديده اهتماماً به من جهة أنه أول مسجد أسس في الإسلام بمصر ، وأنه مشرق أنوار العلوم الإسلامية بمصر منذ القدم) ، ولئلا (نعاب بقلة الاكتراث بمفاخرنا التاريخية) .

واهتم بذلك الأجانب ، وكتب إليه أساتذة كبار محبذين ومشجعين ؛ وكاد يتم الأمر لولا أن أكثر الأعضاء المسلمين في اللجنة غابوا عن الجلسة التي عينت لإتمام المشروع فصارت (الأغلبية) للأجانب .

قال الأمير : « فلما بدأت في تبادل الآراء مع الأعضاء في مسألة إصلاح الجامع ، قام هرتس باشا — مهندس الأوقاف إذ ذاك — وسألني : ما ذا تعملون في حيطان سور الجامع ؟ فقلت : حيث أن السور متهدم متخرب ، وأنه جدد مراراً ، ولم يبق له منظر جذاب ، نريد أن نعمل سوراً جيداً فخماً يتناسب واسم الجامع . فأظهر أسفه لهذا العمل ، وقال ، أننا إذن سنكسر ما فيه من طوب أحمر أثرى ، وأن هذا خسارة لا تعوض ، لأنها آثار قديمة ستتلف بهذا العمل !

وبعد ذلك سأل مسيو ديمول الممثل الألماني لصندوق الدين قائلا : ما ذا تعملون في البواكي ؟

ثم سأل المستشرق السويسري بورك هارت : ما ذا تعملون في عمدان الجامع ؟

وبعد ذلك قام السيوفارنال الممثل الإنكليزي لصندوق الدين وسأل : ما ذا تعملون في البوابة الكبيرة ؟ »

وذكر الأمير جوابه لكل منهم ، وهو جواب مقنع ، ولكن القوم لم يقتنعوا !

قال : « ثم زاد امتعاضي وقلت لجميع الجالسين : أما يندى جبينكم خجلا من هذا الوضع أيها الجماعة ؟ إن الدين الإسلامي لا يسمح لغير المسلم أن يتدخل في أمور مساجد الله ، والحكومة المصرية سمحت وتساهلت إلى حد أن تتدخلوا في شؤون نحو مائتين وخمسين مسجداً في مصر دون حق شرعي ، والمسلمون لما أرادوا تعظيم شأن جامع مَن أدخل الدين الإسلامي في بلادنا ، تحجمون وتوقفون عملنا ، وعلى هذا إني متنازل عن رياسة هذه اللجنة ... » . وتنازل الأمير ، ووقف العمل !

***

قرأت هذا ، فأحببت أن أزور الجامع ، ولم أكن زرته ، وهو قريب من الروضة حيث أقيم ، فسألت فوجدت أنه لا يصل إليه ترام ولا سيارة ، مع أن كل مكان في مصر (إلا هو) تمشي إليه سيارة أو ترام ، فذهبت أخوض في التراب ، في طرق مهملة ، ومسالك معطلة ، حتى وصلت إلى الجامع ، وهو قائم كالشيخ المريض المدنف ، وسط المشش و (الفواخير) و (الجيَّارات) والجبانات !

قلت : أهذا هو جامع عمرو ؟ قالوا : نعم . قلت : وهذه هي (الفسطاط) ؟ قالوا : نعم !

الفسطاط ، أول بلدة للمسلمين في مصر ، يهملها المسلمون ، حتى تعود مقابر للنصارى ؟

الفسطاط ، منزل الفاتحين الذين نشروا في مصر حضارة الإسلام ، يمحى منها كل مظهر للحضارة ، فلا يكون فيها إلا (الفواخير والجيارات) ، وتذهب منها معالم الحياة ، فلا تكون إلا داراً للموتى ؟

هل يدري هؤلاء الذين يروحون ويغدون على هذه البقعة المتروكة ، وهل يدري أولئك الذين لم يزوروها ولم يروها أنه من هنا سطع النور الذي أضاء مصر بضوء الإسلام ، ومن هنا انبجس المعين الذي روى العطاش من أبناء مصر وإفريقية ، ومن هنا مشت الراية الإسلامية حتى رفرفت على نصف دنيا الماضي من البحر الأحمر إلى ما وراء البيرنة ، ومن هنا خرج الصوت الذي ألغى نظام الطبقات ، وساوى بين الناس في مصر ، وأعطاهم الحرية في دينهم ودنياهم ، وأنها هنا ولدت مصر زعيمة العروبة

ومثابة الإسلام ؟ فمن الذى كاد لهذه البقعة الطاهرة حتى صارت أوحش بقعة فى مصر وأحطها وأبعدها عن الحضارة والنظافة والبهاء ؟ ما الذى صرف الناس عنها ، فلا يؤمها مصرى ليذكر مشرق شمس الهداية منها على بلاده ، ولا يستطيع أن يصل إليها سائح ليرى فيها آثار أمجد ذكرى فى تاريخ مصر ؟ أيتخرب المسجد ويهمل الحصن ولا تشفع لهما روعة البطولة ، ولا خشمة الإيمان ، ولا عظمة العلم ؟ !

أما والله الذى لا إله إلا هو ، لو كانت هذه الآثار لغيرنا ، لأمة تحس وتشعر وتقدر أمجادها ، لجعلت بقاعها كلها كعبات يحج إليها ، ومنابر تتلو على الناس سور البطولة فيصغى إليها الناس كأنها القرآن ، ولخلدت كل مكان مر منه عمرو ، وكل طريق سلكه ، وكل قلعة افتتحها ، من العريش إلى الفرما إلى أم دُنين (قرب حديقة الأزبكية) ، إلى ساحة المعركة فى عين شمس ، إلى ميدان الوقعة الكبرى ، التى كان فيها النصر عند حصن بابليون (قصر الشمع) عند جامع عمرو ، ولمهدت هذا الطريق ، طريق الفتح ، وظللته بأشجار النار ، وكنفته بالورد والفل ، ولجعلت فى كل قرية وكل بلدة مدرسة باسم عمرو ، تعرف الناس بعمرو ، والدين الذى جاء به عمرو .

إن فتوح المسلمين أعجوبة التاريخ ، ومعجزة الدهر ، ولكن ليس فيها ما هو أعجب من فتح مصر ، فقد حيَّر من الوجهة الحربية العسكريين ، وأدهش بنتائجه المؤرخين .

لقد كان جيش عمرو يوم صدم مصر ، أربعة آلاف ، وما أربعة آلاف فى جنب مصر وملك مصر ، ولو أطبق عليهم أهلها بأجسادهم لطحنوهم ، ولو ضاربوهم بالحجارة لقتلوهم ، ولو حصروهم من بعيد لأهلكوهم ، ولكن أربعة آلاف فتحت مصر ، فتحتها بعبقرية قائدها ، فتحتها بخلائقها وبإيمانها . ومن كان معه الإيمان لا يقف له شيء .

ولقد فتح مصر من قبله فاتحون ، العرب (الهكسوس) أبناء الجزيرة ، والفرس ، واليونان ، والروم ، فكان فى مصر غالبون ومغلوبون ، غرباء حاكمون ، ومصريون محكومون ، ولبث الفتح ما لبثت القوة ، فلما زالت زال ، وعادت البلاد لأهلها فلما فتحها عمرو ، صارت لقومه إلى آخر الدهر .

ولقد دأب الروم وهم آخر من حكمها عاملين بالترغيب والترهيب ، يستخدمون المطايا والمنايا ، لحمل المصريين على مذهب فى النصرانية غير مذهبهم فما استطاعوا . وهم جميعاً أهل دين واحد ، واستطاع عمرو أن يدخلهم بطوعهم ورضاهم فى الإسلام ، فيكونوا هم أهله ، وتكون بلادهم بلاده ، وهذه هى طريقة الفاتحين المسلمين ، لم ينقلوا الإسلام إلى البلاد التى فتحوها ، ولكن نقلوا أهلها إلى الإسلام[1] : أراهم فضله ، وأذاقهم عدله ، أعطاهم الحرية فى عباداتهم ، وأعاد لهم بطريركهم بنيامين الذى طرده الروم ، ورفع المظالم عنهم ، ومنع بعضهم أن يستعبد بعضا ، وحفر لهم الخليج فى سنة واحدة ، من النيل إلى البحر الأحمر ، استعملهم فيه بالأجرة لا بالسخرة ، وجعله لهم لا لغيرهم ، فكان للخير والبركات ، لا كقناة السويس التى هى فى أرضنا وليست لنا — فكانت هذه الأعمال خطباً ومحاضرات فى الدعوة إلى الإسلام ، ما سمعها المصريون حتى انقلبوا جميعاً مسلمين ، وكذلك تكون الدعوة : بالأعمال لا بالأقوال .

***

لقد رأيت مرة رواية مسرحية فى جمعية إسلامية مثّل فيها الممثل عمراً ، رجلا قيناً ثعلبياً محتالا يتدسس فى القوم ، ويسترق الأخبار ، ويوقع الشر ، ويتعمد الكذب ، فعلمت أن هؤلاء الذين هداهم الله بعمرو ، لا يعرفون من هو عمرو !

أولا تخبرونى من قال لكم إن عمراً كان بهذه الخلائق ؟ ما الذى غركم بتمثيله ؟

أليس على الممثل أن (يندمج فى دوره) ويفهمه ويستعير روح من يمثله ؟ فهل تستطيعون أن تمثلوا أبا جهل فى فضائل جاهليته ، قبل أن تقدموا على تمثيل عمرو فى عبقرية إسلامه ؟

لقد كان عمرو شريفاً فى الجاهلية والإسلام ، وكان صادقاً صريحاً ، وكان شاعراً فصيحاً ، وكان أبياً عزوفاً لا يرضى بالدنية من عمر ، وهو من هو ، ويرد عليه الكلمة بمثلها حين راسله فى أمر خراج مصر ، وكان فقيهاً فى دينه ، أسلم طائعاً مختاراً ، فتوافقت على ورود شرعة الإسلام يومئذ عبقريتا عظيمين من عظماء الناس كلهم لا العرب وحدهم . وماردين من مردة القيادة

(١) الكلمة لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وقد كنت عقدت عليها فصلا فى الرسالة فى السنة الماضية .

والحروب ، سيد القواد خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، هداه إلى الإسلام نطق سديد ، لم يدخله فيه طمع ولا طبَع ، ولم تدفعه إليه رغبة ولا رهبة ، وكان صادقاً في إسلامه ، قوياً في إيمانه ، حتى ولاه الرسول صلى الله عليه وسلم حَطْم رب من أرباب الباطل ، فاختاره لهدم سواع ، وأقره على إمارة سرية فيها سادة الإسلام ومشايخه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ، وجعله رسوله إلى ملك عمان ، وأمينه على الصدقات فيها ، وشهد له « أنه من صالحي قريش » ، وقال فيه : « نعم أهل البيت عبد الله وأبو عبد الله وأم عبد الله » ونظر إليه عمر ، فقال : « ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميراً » وقال قبيصة بن جابر : « صحبت عمرو بن العاص فما رأيت رجلا أبين قرآناً ، ولا أكرم خلقاً ولا أشبه سريرة بعلانية منه » وكان عمر إذا رأى رجلا عيياً يتلجلج في كلامه يقول : « أشهد أن خالق هذا وخالق عمرو ابن العاص واحد »[1] .

وكان مشهده يوم بلغه انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملأ الأعلى ، مشهداً يلين القلوب الجامدة ، وما يفجع ولد بأبيه ، أو محب بحبيبه ، فتكون لوعته عليه ، وحسرته لفقده ، أشد من حسرة عمرو ولوعته .

وكان يوم الردة سيفاً من سيوف الله التي رجعت الإسلام إلى موطنه بعد ما كادت تشرده عنه الخطوب ، وأعز الله به الدين ، وقمع الثائرين . ثم رمى به الصديق الروم ، وقدمه على (من هم أقدم منه سابقة وحرمة)[2] وجعله أحد القواد الأربعة ، فتجلت عبقريته حتى رجع الثلاثة إلى رأيه ، وبلغ الرأى أبا بكر فأقر ما رأى ، وكان في اليرموك ثاني الأبطال ، بعد نابغة المعارك خالد ، وكان بطل أجنادين ، فضرب الله به أرطبون الروم بأرطبون العرب ، فكان أرجح منه في الميزان ، وكانت عبقريته أبقى على وجه الزمان ، حتى قال عمر : غلبه عمرو ، لله عمرو !

أما النبل في سلائقه ، والسمو في خلائقه ، وقوة جنانه ، وفصاحة لسانه ، فاسألوا عنها كتب الرجال ، فما يتسع لها المقال .

***

(1) تخريج الأحاديث في الإصابة لإمام الحفاظ ابن حجر

(2) من كلام أبي بكر له في وصيته العجيبة التي تشهد لنا أننا نحن أهل البطولة وأهل الحضارة لا هؤلاء الغربيون !

هذا هو عمرو وما عرفتموه ، فرأتم ما كذبه عليه المؤرخون يوم التحكيم ، ولم تقرأوا الحقيقة التي رواها المحدثون[1] وهم أوثق نقلا ، وأصدق قولا ، وسمعتم أنه من دهاة العرب ، فحسبتم الدهاء لا يكون إلا بالكذب والاحتيال والدس والوقيعة . لا يا سادة إن من تخرج في مدرسة محمد ، وكان رسولَ رسولِ الله ، لا يكون دساساً ولا كذاباً ، « إن المؤمن لا يكذب » ، هكذا قال الرجل الذي قال : « ابنا العاص مؤمنان عمرو وهشام »[2] محمد رسول الله !

هذا هو عمرو . أي فاتح صنع مثلما صنع عمرو ؟ أي قائد كان أعظم بركة في ظفره من عمرو ؟ أي مصلح كان أبقى أثراً في إصلاحه من عمرو ؟

إنه ما شهد في مصر مسلم أنه لا إله إلا الله ، ولا قام متبتل في صلاة ، ولا قعد واعظ في مصلاه ، ولا فاض إلى منصته ، ولا مدرس إلى أسطوانته ، ولا عمل مصري من خير إلا وعمرو شريكه في ثواب عبادته ، لأنه السبب في هدايته ، ومن سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة !

عمرو بنى جامع ابن طولون ، وشاد الأزهر ، وعمر هذه المدارس ، وأقام هذه المساجد ، وأنشأ كل مظهر للاسلام في مصر . ما كان لولا عمرو !

عمرو هو الذي رد برابرة الشرق في عين جالوت ، وبرابرة الشمال في المنصورة ، وكان له فضل كل نصر ، كتبه الله للاسلام في مصر !

هذا هو عمرو ، فهل تلبي مصر في إصلاح جامعه دعوة الأمير؟ وهل أعيش حتى أرى هذه البقعة أزهى بقعة في مصر وأبهاها ، يعمر فيها الجامع حتى يصير أزهر ثانياً ، وهو (كان) أول أزهر في مصر . تمتد من حوله الشوارع الفساح ، والحدائق والجنات ، وترجع هاتيك المآثر ظاهرة ، ومن حولها القصور العامرة ، ومنازل الكبراء ، ومراكز الجمعيات الإسلامية ، والقوميات العربية .؟

هل ترجع للفسطاط عهودها الخاليات ؟

علي الطنطاوي

(1) انظر القواصم والعواصم للقاضي أبي بكر ابن العربي

(2) الاستيعاب للحافظ الأندلسي ابن عبد البر

من البطل فوزى القاوقجى
إلى الشـــاعر على محمود طه

« كان الأستاذ الشاعر على محمود طه قد حيا بطل العروبة القاوقجى بقصيدة من عيون الشعر نشرتها البلاغ ، فلما قرأها القائد الشجاع تحركت فيه بلاغة البطولة فبعث إلى الشاعر الكبير بهذه الرسالة » :

تحية عربية . وبعد فقد قرأت قصيدك ، وأطربنى شعرك ، وسألت نفسى ، هل أنا جدير بمثل هذا التكريم يزجى إلى شعراً حراً ؟ وأعدت تلاوة القصيد فإذا بى أجد فى كل بيت روح معركة ، أو صدى حق نائم ، أو صورة نضال باسل ، وأيقنت أن هذا المجد يضفيه على مثل هذا الشعر العبقرى أجدر به أن يدخر ليوم الفصل ، يوم المعركة الكبرى لانقاذ فلسطين كلها ... يومئذ « لا يرح الباغون فيها » ، ويومئذ يقول شاعرنا الكبير مايشاء .

أخى ؛ ما أشبه هذه الأمة بالكنز الدفين ، تراكت فوقه على ممر السنين طبقات من تراب تملوها أشواك وأعشاب ذهبت بمعالمه وعفت آثاره ، يوم توارى وجه الأمة الصحيح وغرّ الأجنبى العدو ، هذا الوجه السطحى المصطنع للأمة ، فاستهان بها ، واستحوذ على القادة يأس ، فضلوا هم عن حقيقة أمتهم ، ولم ينفذوا إلى غورها حتى ظن الظانون أنها مسكنة قد ضربت عليها ... رأيت كيف يبسط الظلم على هذه الأمة جناحيه ، ويطلق يديه فى بلادى فيستنزف ثروتها ، ويوهن أخلاقها ، ويدوس كرامتها . ورأيت كيف يتزاحم وجوه وأعيان وسراة ، بالمناكب على أبواب المستشارين ، وكيف تمرغ على أقدامهم بعض الجباه تستجدى العطف من الطاغية والرحمة من الضارى ، فثارت نفسى أولا ، وأوحت إلى الثورة ... ولكن أين العدة ؟ وأين التكافؤ بيننا نحن الضعاف القلة ، وبين العدو الكثير ؟

ورحت أفتش عن القوة ، وأسأل أين تكون المعجزة . واستلهمت التاريخ وبطولة الأجداد ، ثم اهتديت إلى أن الوجه الصحيح لهذه الأمة قد توارى تحت كثيف من غبار الدهر . فأخذت أنتزع الأعشاب وألتقط الأشواك وأزيح التراب حتى تجلى لى ذلك الكنز الثمين ، ورأيت وجه الأمة الصحيح ، إنه هو الشعب العربى ، إنه هو المادة الأصيلة التى صنع منها بناة الأمبراطورية العربية أركان مجدها . مددت يدى نحو الكنز وتناولت حفنة واحدة من أبناء هذا الشعب ممن يصدق فى كل واحد منهم قولك :

حوارى على كفيه قلب أبى غير الشهامة والكرامه

وأيقنت أن فى هذه الحفنة من القوة المدخرة ما تسقط معه حجة التكافؤ مع الخصم . فثمة شىء يقال له إيمان وكرامة لا يستقيم معه حساب العدد والعدة . ولكننى تلفت يومذاك أنشد القدوة فى هذه الدنيا . تطلعت نحو الترك ... هذا عظيم .. ولكنه وجد بقايا جيش وأنقاض مملكة ، أى وجد مادة الجهاد ميسورة ؛ وأما نحن فلا شىء عندنا . وأخيراً لذت بالتاريخ العربى وإذا بى أجده حافلا غزيراً . فهنا خالد ، وهناك أبو عبيدة ، وهنالك أسامة ، وكل شبر من بلادنا ينطق بآثارهم ، وأين سرت تقاطع آثارنا آثارهم ، فسمعت فى ضميرى أصواتهم تهيب بى إلى الواجب . وبهذه الحفنة التى احتفنتها من الكنز كنت أثب من قطر عربى إلى قطر عربى آخر ، وأ كون حيث تقضى النجدة العربية أن أكون . ولطالما قطعت الفازات . واجتزت السباسب ، وخضت فى لهيب من الصحراء يشوى الوجوه ! وطالما وجدتنى فى متاهات البادية قد استبد بنا العطش ، ننشد أثراً ينم على الحياة فلا ماء ولا ظل ولا أنيس إلا هذا القرص الشمسى ، وياله من أنيس ، يبعث بالأشعة لتسلق الرؤوس ، وما عرفت أن الأشعة ذات ثقل تنوء به المناكب إلا فى تلك البوادى ، وما عرفناها تأكل الظهور أكلا إلافى تلك الأيام ، حتى لكأننا نعيش فى أتون يتسعر لظى ... أما خيولنا ، فكانت تقاسمنا الضراء والبأساء . ولطالما مدت أعناقها تنشد ظلا أو ماء ! لقد جفت مشافرها وضمرت أجسامها ضمور أجسامنا . وكان الفرسان وهم يسبحون فى اللهيب خرساً لاينبسون بشكوى ، ولايكادون يقتربون بعد ذاك الجهد من مواطن القتال ويزدلفون من ساحة الجلاد حتى تفتر شفاههم وتنبسط أساريرهم وتتردد أهازيجهم . وترى الفارس منهم كما وصفه المتنبى :

قح كأن صهيل الخيل يقذفه عن سرجه مرحاً بالفر أو طربا

ويتبينون فى الأفق سواداً عظيما ، إنه جيش العدو العرم فما تهن عزائم الحفنة ، وإنما تمتد أعينهم امتداد بنادقهم نحو العدو . ويسود صمت ، ليس صمت رهبة ، ولكنه إيذان للبنادق بأن تتكلم . ثم تنفجر القنابل فالسماء تمطر ناراً . وتنشب المعركة

ويستحر القتال ، وأين تطلعت تجد ناراً ولهيباً ، وسواداً وغباراً ، والمركة بمن فيها كأنها إعصار فيه نار ، وعدتنا هى عدتنا . أما الخصم فقد امتلأت يداه بأدوات القتال ، ومع ذلك لا يلبث أن ينفد صبره ، ويرتقب دنو الظلام لينجو بنفسه . وما يكاد الظلام يرخى سدوله حتى يلوذ به ، ويتستر وراءه . وتقف رحى المركة ، ونتعقبه ، ثم نعود إلى الساحة نتفقد شهداءنا ونحصى قتلاهم . فإذا النسبة بين شهدائنا وقتلاهم ، هى النسبة بين عددنا الضئيل ، وعددهم الجسيم .

وهنا تنطلق الأنشودة الشعبية التى طالما هزت مشاعرنا :

يا دار لنا حقك علينا

وهنا نشعر بأننا قد دفعنا قسطاً من حق الوطن، وأن الجثث المتناثرة فى ساحة المركة هى الإيصال الشرعى . وكم من أقساط دفعناها فى ميادين سورية وجبال فلسطين وبطاح العراق .

وهل الدار إلا الوطن العربى ؟ وهل الحق الذى لها علينا إلا الجهاد فى سبيل إنقاذها ؟

***

لقد مرت بى الطائرة فى سماء فلسطين ، ثم أنزلتنى فى مصر العربية ، ورأيت فيها ما رأيت . فما استطعت أن أخاطبها بغير أنشودتنا فى المعارك :

يا دار لنا حقك علينا

وشاء الزمن المعادى أن يحيينا ، فد الله فى العمر ، وعمت شطر الشام ، البلد العربى السيد المستقل ، فما كدت أكحل العين برؤية الراية العربية خفاقة ، وما كدت أرى ابتسامة العز ترتسم على أول وجه لقيته حتى نسيت كل ألم أصابنى فى هذه الدنيا وما عانقت أخاً إلا أحسست أننى أضم إلى صدرى هذه الأمة كلها . وماذا كنت أسمع فى ساعات اللقاء من إخوانى المجاهدين الذين رافقونى فى ساحات النضال ؟ هذا مجاهد يقول وهو يعانقنى لا تنسنى هذه المرة ، وآخر يقسم إنه منتحر إذا لم يرافقنى فى معركة فلسطين المقبلة . وهذا شيخ آخر يقول وهو يعانقنى : لقد غدوت شيخاً ، ولكن لدى ثلاثة أولاد ، وهؤلاء سيؤدون الواجب الملقى على ، فينوبون عنى ... الأول فتح عينيه على أصوات مدافع ميسلون ، والثانى خرج إلى هذه البسيطة يوم كانت دمشق تلتهب بنار قنابل الفرنسيين فى أوائل الثورة ؛ أما الثالث وهو صغير ، فقد ولد يوم الجلاء على أصوات الزغاريد وصيحات الابتهاج ؛ لقد أحسست وأنا أستمع إلى هذا الشعور أن دينا جديداً وواجباً جديداً ملقيان على كاهلى ...

وهذا ما حبب إلى الحياة ، لا خشية الموت ، وطالما اندفعت نحوه ، وقد تخطانى كثيراً وبالغ فى التخطى ، وأنشبت أظفاره فى جسمى فى تسعة وأربعين مكانا ... ولم يظفر بأمنيته . ولكننى أحببت هذه الحياة لأتمكن من أداء الأقساط الباقية والمستحقة .

إن سعادتى وافتخارى بانتسابى إلى هذا الشعب العريق لا حد لها . ولهذا الشعب نذرت دمى متطوعاً مبتهجاً

هذا ما أوحت به إلى قصيدتك وإنى أودعك مردداً قولك الحق:

هو السيف الأصم إذا تغنى صنى متجبر ووعى كلامه ... المحب

فوزى القاوقجى

٨ – تفســـــير الأحلام

للعلامة سجموند فرويد
سلسلة محاضرات ألقاها فى ڤينا
للأستاذ محمد جمال الدين حسن

الرموز فى الأحلام :

رأينا أن التحريف الذى يعوقنا عن الفهم الصحيح للأحلام ينشأ عن النشاط الذى تبذله الرقابة للتغلب على الدفعات اللاشعورية لرغبات لا تقرها الذات ، بيد أننا لم نجزم بأن الرقابة هى العامل الوحيد المسئول عن التحريف ؛ والواقع أن دراسة أخرى للأحلام ترينا أن هناك عوامل غيره تشترك فى هذا التأثير ، بمعنى أنه حتى على فرض أن الرقابة رفعت عن الأحلام فإننا مع ذلك لن نتمكن من الوقوف على معناها ولن يأتى المحتوى الظاهر مطابقا للمحتوى الباطن .

وهذا العامل الآخر الذى يتسبب فى غموض الأحلام والذى يساعد على زيادة التحريف ، يتجلى لنا عندما نلاحظ أن هناك ثغرة فى طريقتنا التى استخدمناها فى التفسير . فقد سبق أن سلمت لكم بأن هناك حالات قد لا يجد فيها الأشخاص الذين نحللهم أفكارا مترابطة لديهم لبعض عناصر الحلم . ومن المحقق أن هذه الحالات لا تقع بالكثرة التى يزعمونها فى معظم الأحيان قد نتمكن من الوصول إلى تبيان الأفكار المترابطة بالكد والمثابرة ، ولكن هناك مع ذلك بعض حالات معينة يخفق فيها الترابط اخفاقا كليا ، أو نجد أن الشىء الذى نستخرجه أخيرا بالعنوة ليس هو ما نحن فى حاجة إليه . وهذه الحالة عندما تقع أثناء العلاج بالتحليل النفسى فإنها تدل على مغزى معين لا يهمنا فيما نحن بصدده هنا ؛ ولكنها تقع كذلك فى أثناء القيام بتفسير أحلام الأشخاص العاديين أو عندما نقوم بتفسير أحلامنا الخاصة . فإذا اقتنعنا فى مثل هذه الحالات بأنه لا فائدة ترجى من الحث والإلحاح ، فإننا قد نكتشف أخيرا أن هذه الحالات المتشابهة تظهر على غير ترحيب منا كلما كانت بعض العناصر الخاصة تحت الاختبار ؛ ومن ثم نبدأ فى إدراك أن هناك قاعدة جديدة تعمل عملها بينما كنا نظن فى مبدأ الأمر أننا صادفنا فقط حالة شاذة أخفقت فيها طريقتنا فى التفسير .

وهذا يؤدى بنا إلى محاولة تفسير هذه العناصر « الخرساء » والاستعانة على ترجمتها بالرجوع إلى مصادرنا الخاصة . ولا شك فى أننا سندهش كثيرا عندما نجد أننا سنتمكن ، فى كل مرة نقدم فيها على هذه الطريقة ، من الوصول إلى معنى مقنع بينما يظل الحلم مفككا لا معنى له ما دمنا لم نعقد العزم على استخدامها . وتجمع كثير من أمثال هذه الحالات المتشابهة يشد من أزرنا إذ أننا قد أقدمنا على التجربة فى مبدأ الأمر فى تهيب ووجل .

وبهذه الطريقة سنصل إلى ترجمة ثابتة لسلسلة من عناصر الحلم ، كما هو الحال فى الكتب العامية عن الأحلام حيث نعثر على مثل هذه التراجم لكل شىء يحدث فى الحلم تقريبا . ولعلكم لم تنسوا بعد أننا عندما كنا نطبق طريقة الترابط المطلق لم نكن نقابل مثل هذه التراجم الثابتة لعناصر الحلم .

أظنكم ستقولون الآن إن هذا النوع من التفسير يبدو لكم أنه أقرب إلى الشك وأكثر تعرضا للنقد من طريقة الترابط المطلق السابقة ، ولكن مهلا ! فنحن لم نفرغ بعد كل ما في جعبتنا ؛ فنحن عندما يتجمع لدينا من التجارب الواقعة عدد لا بأس به من أمثال هذه التراجم الثابتة ، فإنه يتحقق لدينا بصفة قاطعة أنه كان فى إمكاننا فعلا أن نملأ هذه الثغرات فى التفسير إذا رجعنا إلى مصادرنا الخاصة ، وإننا كنا فى الحقيقة سنصل إلى معناها فى غير ما حاجة إلى الأفكار المترابطة للشخص الحالم .

وهذا النوع من العلاقة الثابتة بين عنصر الحلم وترجمته يطلق عليه علاقة « رمزية » أما العنصر نفسه « فرمز » للفكرة اللاشعورية التى يعبر عنها الحلم . تذكرون أننى سبق أن قلت لكم عندما كنا نبحث فى العلاقات المختلفة بين عناصر الحلم والأفكار الباطنة التى تستتر وراءها أن هناك ثلاثة أنواع من هذه العلاقات وهى : الاستعاضة بالجزء عن الكل ، والإشارة أو التلميح ، والتمثيل البصرى . وقد قلت لكم عندئذ إن هناك علاقة رابعة ولكنى لم أبين لكم نوع هذه العلاقة ، أما الآن فإننى أقدمها إليكم وهى « الرمزية » . وهذه العلاقة يرتبط بها كثير من النقط الهامة التى تصلح للدراسة ، وعلى هذا فسنوجه إليها التفاتنا قبل أن نضع أمامكم ملاحظاتنا الخاصة عن الموضوع . فالرمزية قد تكون

أهم جزء فى نظريتنا عن الأحلام .

نرى قبل كل شىء أن الرمزية بما أنها علاقة ثابتة لا تتغير بين الرمز والفكرة التى يرمز إليها ، فهى بذلك تحقق على نحو ما الفكرة القديمة والفكرة العامية عن تفسير الأحلام ، وهى الفكرة التى بعدنا عنها كثيرا فى طريقتنا فى التفسير . فالرموز قد تجعل من السهل علينا فى بعض الأحيان أن نفسر الحلم دون استجواب صاحبه الذى لايستطيع فى الحقيقة أن يدلنا بأية حال من الأحوال على ماهية هذه الرموز . فإذا قدر لنا أن نقف على معنى الرموز التى تظهر كثيراً فى الأحلام ، وأن نلم بشىء عن شخصية الحالم والظروف التى تحيط بحياته ، والتأثيرات العقلية التى أعقبها حدوث الحلم ، فإننا غالبا مانجد أنفسنا فى مركز يسمح لنا بتفسير الحلم فوراً ، أو قل ترجمته من أوّل نظرة . ومثل هذه المهارة بلاشك ترضى غرور الشخص الذى يقوم بالتفسير كما أنها تستأثر بإعجاب الحالم ، فثمت فرق شاسع بين هذه الطريقة السهلة وبين الطريقة الشاقة التى تعتمد على استجواب الشخص الذى رأى الحلم . ولكن حذار من الاندفاع وراء هذا الرأى ، فالشعوذة ليست جزءا من العمل الذى نقوم به ، كما أن هذه الطريقة التى تعتمد فى التفسير على معرفة بالرمزية ، لا تستطيع بأية حال من الأحوال أن تحل محل طريقة الترابط المطلق أو حتى تقارن بها ، فهى متممة لها والنتائج التى تستخلص منها لا تصبح ذات فائدة إلا إذا طبقت بالاشتراك مع الترابط المطلق . وفضلا عن ذلك فيجب أن لا يغيب عن بالكم أنكم لا تقومون فقط بتفسير أحلام الأشخاص الذين تعرفونهم حق المعرفة ، بل المفروض أنكم كقاعدة عامة لا تعلمون شيئاً عن آثار اليوم السابق التى حركت الحلم وأن الأفكار المترابطة للشخص الحالم هى المصدر الوحيد الذى نستطيع أن نحصل منه على معرفة ما نسميه بالحالة العقلية .

ومما يستحق النظر بوجه خاص أن هناك معارضة قوية ضد هذه الفكرة القائلة بوجود علاقة رمزية بين الحلم واللاشعور ؛ فكثير من الأشخاص الذين اتصفوا بحصافة الرأى وممن ساروا التحليل النفسى فى كثير من النقط الأخرى قد عادوا فتنصلوا من آرائهم عند هذه النقطة . وهذا السلوك قد يستغرب كثيرا عندما نتذكر شيئين اثنين ، أولا أن هذه الرمزية ليست ملكا للأحلام ولاهى وقف خاص عليها ، وثانيا إن استخدام الرموز فى الأحلام ليس من اكتشافات التحليل النفسى ولو أن هذا العلم لا تعوزه الاكتشافات الغريبة . وإذا كان لأحد فى العصر الحديث أن يدعى الأسبقية فى هذا المضمار ، فهو بلا شك الفيلسوف « شرنر » وقد جاء التحليل النفسى فعزز اكتشافه ، وإن كان قد عدل فى بعض النقط الهامة .

أظنكم ترغبون الآن فى معرفة شىء عن طبيعة الرمزية فى الأحلام وتودون الاطلاع على بعض الأمثلة . وإنى ليسرنى أن أقدم لكم كل ما أعلم عن هذا الموضوع ، ولكنى أعترف أمامكم أن معلوماتنا فى هذا الشأن أقل مما كنا نرغب فيه .

العلاقة الرمزية فى أساسها علاقة مقارنة ولكنها ليست مقارنة من أى نوع كان ، فنحن نشتبه فى أنها تخضع لشروط معينة ولو أننا قد لا نستطيع أن نحدد بالضبط نوع هذه الشروط . فليس كل ما يمكن مقارنته بشىء أو حادث ما يظهر فى الأحلام على شكل رمز له ، كما أننا نجد من ناحية أخرى أن الأحلام لا تستخدم الرمزية لأى شىء كان بل تستخدمها فقط لعناصر خاصة من الأفكار الباطنة ؛ أى أن هناك تحديدا من الناحيتين . ويجب علينا أن نسلم كذلك بأننا لا نستطيع فى الوقت الحاضر أن نحدد بالضبط معنى الرمز كما نتصوره ، فهو يبدو أحيانا كاستعاضة عن شىء أو تمثيل له ، بل كثيرا ما يقترب جدا من الإشارة والتلميح . وقد يكون من السهل علينا فى بعض الأحيان أن نتبين على الفور المقارنة التى بنيت عليها الرموز ولكن هناك حالات أخرى نحتاج فيها إلى البحث والتدقيق لمعرفة العامل المشترك الذى يدخل فى هذه المقارنة المفروضة . وهذا العامل قد يظهر لنا إذا أعدنا النظر مرة أخرى ، كما أنه قد يظل محجوبا عنا إلى الأبد وإذا كانت الرموز عبارة عن مقارنة فعلا ، فإن مما يستلفت النظر حقا أن هذه المقارنة لا تتضح لنا من عملية الترابط المطلق ، وأيضا إن الحالم لا يعرف عنها شيئا وإنما يستخدمها فى غير وعى منه ، بل إنه ليذهب إلى أكثر من هذا فيأبى أن يعترف بها عندما نوجه نظره إليها . ومن هذا ترون أن العلاقة الرمزية عبارة عن مقارنة من نوع خاص طبيعته غير واضحة لنا تماما ، وربما كان فى استطاعتنا فيما بعد أن نعثر على بعض الأدلة التى تلقى قليلا من الضوء على هذه الصفة المجهولة .

(يتبع) محمد جمال الدين حسن

من وراء المنظار

بين معمم ومقبع ومطربش !!

الحر شديد تلفح زفراته الوجوه ، والترام مزدحم بالناس قعوداً ووقوفاً ، وما منهم إلا من ملأ الفتور بدنه كأنما أخذتهم جميعاً سنة فهم صامتون مطرقون . وليس ما يدب فيه النشاط والقوة إلا هذا الترام السريع الذى ينحدر إلى القاهرة من مصر الجديدة منطلقاً كالسهم ، يهز ركابه الوسنانين هزات قوية تنفض عنهم بعض فتورهم وتكاد تلقى بالجالسين منهم على أطراف المقاعد إلى أرض العربة فى منعرجات الطريق ...

وفى زاوية من العربة جلس ثلاثة : معمم على أحد المقاعد يواجهه على المقعد المقابل مقبع ومطربش .

أما المعمم فهو فى حدود الأربعين أنيق الثياب جداً ، نظيفها كأنما هو قادم بها من فوره من دكان الخياط . ولست أدرى ما ذا يصنع يوم العيد ليشعر الناس أنه « غيَّر » ملابسه ؛ ممتلىء البدن ، أبيض الوجه فى حمرة ، متورد الوجنتين ، تنبئك ملامح وجهه بأنه فكه خفيف الروح ، وتحدثك عيناه ولفتاته ونظراته فيمن حوله — على الرغم من الفتور الذى لحقه كما لحق غيره — أنه « ابن بلد » بأوسع معنى لهذه الكلمة .

أما المقبع فهو عُتُلٌّ فى نحو الستين ، ثقيل الظل جامد الطبع فيما يبدو من ملامحه وهيكله جميعاً ، وبخاصة حاجباه الكثيفان ومنخاراه الواسعان وعيناه الضيقتان وفمه الذى ما إن رأيته حتى جزمت بأنه لم يبتسم مرة فى سنواته الستين ، ولو طلب إلى أن أؤدى يميناً عن هذا لأديتها فى غير حرج .

أما المطربش فأرجو أن تعفينى من وصفه فذلك هو أنا صاحب المنظار ...!

وحدث بين هؤلاء الثلاثة ما بعث الركاب جميعاً من سِنتهم وما أضحكهم على الرغم من الحر والغبار وجهد اليوم ...

مد المقبع إحدى رجليه فوضعها على المقعد حتى مس حذاؤه ملابس المعمم أو كادت ، فنظر إليه هذا نظرة استنكار عله يسترد رجله ويبعد ذلك الحذاء الذى خيل إلى لكبره أنه مركب من مراكب الأطفال ؛ ولكنه لم يتحرك ؛ فقال له المعمم : « من فضلك يا خواجه » وأشار إلى حذائه ؛ فنظر إليه المقبع متثاقلا وقال : « لا ... أنا حر » ونطق الحاء خاء فازداد ثقلا على ثقل .

وازداد وجه المعمم حمرة ورأيته أخذ يتحمس ، ولكنها حماسة من يعرف كيف يسلك فى مثل هذا الموقف ما يشاكله من من مسلك :

— أنت حر فى بيتك ولكن هنا لا ... ونطق المعمم كذلك الحاء خاء كأنما هو حيال نص لا يملك له تبديلا ...

ولم يلتفت المقبع إليه فازداد جموداً على جمود !

ولم يرع هذا المثل إلا رجلا الشيخ جميعاً تمتدان فتستقران لا على المقعد ولكن فى حجره وقد ضغط الشيخ بنعليه على بطنه وهو يقول « أنا كان حر » وأصر على جعل الحاء خاء .

وضحكت حتى تندت عيناى وضحك من شهدوا المنظر جميعاً وطار عنهم فتورهم ؛ ونهض المقبع كأنما لدغته عقرب ، وهو يرطن بلغته ، وكأنما فمه بالوعة غصت بالماء وقد انتفخ شدقاه فازداد غلظاً على غلظ .

ونظر إلى المعمم وهو بين الضحك من فعلته وما أثارته من ضحك عام وما كللت به من نجاح أعجبه ، وبين الغيظ مما رطن به المقبع ، وقال لى « ترجم حرفياً ما يقول لألقى به تحت الترام » فأحجمت وما زدت على أن ضحكت . فقال الشيخ وقد حبس ابتسامته وبدا الجد فى وجهه : « أتمتنع عن ترجمة ما يقول هذا الخنزير ؟ . أهذه غيرتك على كرامة بنى وطنك ؟ » .

ورأيتنى على رغمى قد دخلت خصماً ثالثاً فى القضية !

ونظرت إلى الشيخ وقلت : أفترانى يرحمك الله أتبين شيئاً مما يقول ؟ ومع ذلك فهل تظنه يمتدحك ويثنى عليك ؟

وأعجب الشيخ ردى فابتسم أو كاد ثم عاد إلى عبوسه وتقطيبه ، على أنه ما لبث أن ضحك مع من ضحكوا لهذا الرد .

ورأيت أنى أحرجت الشيخ إذ حرمته مما أراد أن يتعلل به من جهله بما يقول خصمه وكفى الله المؤمنين القتال ... وصار لزاماً أن يلقى بذلك المقبع تحت الترام وإلا فقد قبل شتائمه

وأنقذ المقبع من الموت المحتم تحت عجلات الترام أو قل أنقذ الشيخ من حرجه وقوف الترام على آخر محطة بحيث لم تعد عجلاته تفعل شيئاً !

قادة الإصلاح فى القرن الثالث عشر :

الشيخ شامل

زعيم القوقاز وشيخ المجاهدين

للأستاذ برهان الدين الداغستانى

٣ — كان الحاج جبرائيل من أهل قرية « جرقط » صانعاً ماهراً يجيد صنع كل ما تقع عينه عليه ، وفى ذات يوم من الأيام قصد إلى ساحل البحر الأسود ، وركب إحدى البواخر ، وتوجه إلى الحجاز ، وأدى فريضة الحج ، ثم رجع إلى مصر وأقام بها فترة رجع بعدها إلى القسطنطينية ومنها إلى بلاده الأصلية فى الداغستان حيث كان الشيخ شامل فاتصل به وعرض عليه خبرته ومهارته الصناعية ، واقترح أن يقوم بصب المدافع وصنعها محلياً ، ومقاتلة الروسيين بنوع أسلحتهم ، وأظهر شامل — رحمه الله — خوفه من الفشل فى هذا المشروع ، وعارض فيه بادىء ذى بدء ؛ ولكنه — تحت تأثير الالحاح والاغراء — قبل المعاونة والمساعدة ورضى بالمساهمة فى هذا المشروع ، وقدم كل عون ممكن لهذا الصانع الماهر الوطنى المخلص ، وقام الحاج جبرائيل بأول محاولة لصنع المدافع ، فجمع بقايا المدافع المحطمة التى تركها الروسيون فى بعض المعارك السابقة ، وأذابها ، ثم صب منها مدفعاً جديداً ، ولكن هذا المدفع لم يقو على تحمل أول تجربة أجريت له ، فتحطم بعد قذف القنبلة الأولى منه ، وكان فى هذا الفشل الحافز الذى حفز شاملا وإخوانه والحاج جبرائيل ومهارته ، وأعيدت المحاولة ، ونجحت ، ومن يومئذ أصبح فى امكان الشيخ شامل وجنوده الاعتماد على قوة المدفعية ومقابلة الروسيين بنفس سلاحهم الذى يقاتلونهم به .

وانطلقت وأنا أدير فى رأسى هذه القضية الصغيرة التى فسرت لى تفسيراً عملياً معنى الحرية ، وظللت ساعة لا تبرح خيالى رجلا الشيخ يضغط بنعليهما على بطن ذلك القبع الذى ظن أنه لايزال لقبعته ما كان لها قبل من هيبة !

الخفيف

وكان لصنع المدافع فى بلاد الداغستان ونجاحها ، واستعمالها فى المعارك التى وقعت بعد ذلك أثر كبير سواء فى تقوية الروح المعنوية بين المجاهدين المسلمين أو فى إيقاع الخوف والرعب فى قلوب أعدائهم من الروسيين ، وأهل البلاد الضالعين مع الروسيين ، وكان ذلك حوالى سنة ١٢٥٩ هـ و سنة ١٨٤٣ م .

٤ — كان الشيخ شامل — من يوم صنع المدافع فى الداغستان واستعمالها فى الحروب — يسير من نصر إلى نصر ، وذاعت شهرته ، وقويت شوكته ، وهابه خصومه بعد أن أوقع بهم فى عدة معارك فاصلة ، كان لها وقع عظيم فى نفوس الفريقين المتحاربين ، ولجأت القوات الروسية إلى قلاعها وحصونها .

فى هذه الأثناء كان زعماء الجراكسة وأعيانهم يرسلون الرسل والكتب متتابعة بدعوة الشيخ شامل إلى بلادهم . لمساعدتهم على رفع نير الاحتلال الروسى عن رقابهم ، مظهرين الطاعة والاخلاص له ولدعوته الدينية الوطنية التى رفع رايتها فى ربوع بلاد الداغستان .

وفى أوائل سنة ١٢٦٢ هـ (١٨٤٦ م) عزم الشيخ شامل على اجتياز الحدود والذهاب إلى بلاد الجركس ، فجمع جمعاً عظيما من الجند الخيالة والرجالة وأخذ معه سبعة مدافع ثقيلة ، ومقداراً وافراً من المهمات والأسلحة الحربية ، واجتاز نهر « ترن » ونزل فى بلاد « قبرطاى » الواقعة فى الشمال الغربى للداغستان ، وأخذ ينشر تعاليمه ومبادئه عن طريق الوعظ والارشاد ، وأقبل عليه الأهلون مرحبين وأظهروا استجابتهم لدعوته وموافقتهم لها ، وبينما كان الشيخ شامل يقوم بهذه المهمة وينظم الحياة الدينية والمدنية فى تلك البلاد . جاءه النذر بأنه وقع فى كمين دبره له الروسيون . إذ قطعوا عليه خط الرجعة ، وسدوا المسالك وأقفلوا الجسور التى تصل ما بين بلاد الداغستان وأقاليم الجراكسة ، فأسرع شامل بالعودة من حيث أتى ، وبعد تصادم قوى بينه وبين الروسيين وتراشق بالمدافع استطاع الشيخ شامل أن ينقذ قواته ويجتاز بها نهر « ترن » ، ورجع إلى بلاده منهوك القوى ، بعد أن خسر فى هذه الرحلة كثيراً من قواته ومهماته ، وكاد يصاب بهزيمة منكرة لولا حزمه وقوة احتماله ، ولولا مهارة الحاج يحيى قائد المدفعية فى جيش شامل الذى استطاع أن يستخدم ما معه من المدافع الثقيلة أحسن استخدام فى الوقت المناسب .

٥ — كان لهذه الحادثة أثر بعيد فى المعارك التى تلتها ، فقد قويت الروح المعنوية فى الجيوش الروسية المحاصرة فى القلاع المتناثرة هنا وهناك ، فقاموا بعدة كرات على قوات شامل ، ووقعت بين الفريقين مصادمات عنيفة ، وأخذت الحرب فى بلاد الداغستان صبغة رسمية ، واسترعت اهتمام العالم أجمع ، وحشدت القيصرية الروسية أعظم قوادها ، وأرسلت إلى الميدان جوعاً كبيرة من خيرة جنودها ونظم كبار شعرائها القصائد الطوال فى دعوة الناس إلى الجهاد فى الداغستان ولكن شاملا كان مع كل ذلك — كالمهد به — يعمل فى صمت وهدوء وبنفس الايمان والثقة بالله ، وبنصره لعباده المخلصين .

ولما رأى مبلغ ما كان لصنع المدافع من نفع وتأثير حربى أخذ يشجع كل تفكير فى صنع شىء جديد يمكن الاستعانة به فى مقاومة العدو ، وفى سنة ١٢٦٦ هـ (١٨٤٩ — ١٨٥٠ م) تمكن الصناع الداغستانيون من صنع البارود فى بلادهم ، وأعدوا كل ما يلزم لهذه العملية من آلات ومعدات ، وأصبح فى إمكان المجاهدين المسلمين استخدام البارود فى حروبهم ضد الروسيين من ذلك التاريخ ، كما يستعملون المدافع المصنوعة فى بلادهم وبالأيدى الداغستانية من نحو ثمانية أعوام .

٦ — اتسع نفوذ الشيخ شامل فى جميع بلاد الداغستان ، وسارت باخباره الركبان ، وكثرت مصادماته الناجحة ضد الروسيين ، وفى أوائل فصل الخريف . فى اليوم العاشر من المحرم سنة ١٢٧٠ هـ (١٣ اكتوبر سنة ١٨٥٣ م) قام الشيخ شامل بحركة جريئة أوقعت الرعب فى قلوب حاميات الروس فى بلاد القوقاز كلها ، ففى ذلك اليوم ساق سيلا عظيما من قواته ومدفعيته ، واجتاز بها حدود بلاد « الكرج » وحاصر قلعة « زنطة » حصاراً محكما قوياً ، واضطر حاميتها إلى التسليم فى النهاية ، ثم بعث البعوث والسرايا إلى القرى المتناثرة فى تلك الجهات ، فأغارت عليها ، وأخذت الأسرى وغنمت الأموال الكثيرة . ثم رجع إلى مقر قيادته فى داخل حدود الداغستان بعد أن قتل من الأعداء نحو (٢٠٠٠) قتيل وأسر نحو ٨٩٤ أسيراً ، وغنم من الأموال والأسلحة مقداراً عظيما . وكان بين الأسرى الجنرال « جوجوزه » قائد حامية « زنطة » وبين السبايا زوجته وبنته وكثيرات غيرهن من كرائم العقيلات ، وبنات الأشراف .

بقى هؤلاء الأسرى عند الشيخ شامل نحو تسعة أشهر ، وجرت المخابرات والمفاوضات بين الشيخ شامل والقيادة الروسية العليا لمبادلتهم بالأسرى المسلمين الذين كانوا فى أيدى الروسيين .

وفى النهاية تم الاتفاق بين الطرفين على طريقة هذا التبادل ومكانه ، فقد اتفق الفريقان على اختيار موقع « أنصنفر » على ضفة نهر « مجك » . كما حصل الاتفاق على مبادلة الجنرال « جوجوزه » بابن الشيخ شامل جمال الدين الذى كان رهينة فى أيدى الروسيين من نحو ستة عشر عاماً ، ثم مبادلة كل مسلم بروسى ؛ وجعل لكل أسير زائد وللسيدات والأولاد من السبايا فداء محدود ، وفى أواخر سنة ١٢٧٠ هـ (١٨٥٤ م) تم هذا التبادل فى « انصنفر » على ضفاف نهر « مجك » ، وأخذ المسلمون أموالا كثيرة فداء الأسرى الزائدين والسبايا من النساء والأولاد . وكان يوماً مشهوداً عم فيه البشر بين الجميع .

٧ — بعد تبادل الأسرى فى أواخر سنة ١٢٧٠ هـ تحاجز الفريقان بعض الشىء ، وخمدت نار الثورة الوطنية ، والحركة الدينية الاصلاحية التى أشعلها الغازى محمد الكمراوى منذ نيف وخمس وعشرين سنة ، وكانت هذه الحادثة أشبه بهدنة غير رسمية بين الفريقين . كان قد مضى على نشوب هذه الثورة فى تلك البلاد أكثر من ربع قرن من يوم أن رفع الغازى محمد الكمراوى علم الثورة ، وكان مضى عليها أكثر من عشرين عاماً من يوم تولى الشيخ شامل قيادتها .

فلما رجع أولئك المجاهدون إلى قراهم وضياعهم بعد طول الغياب عنها ، والتنقل بين مختلف البقاع وتلك البلاد الجبلية الوعرة رأوا ما عم قراهم من الخراب والدمار ، وما حل بأهليهم من الفاقة والفقر وسوء الحال الاقتصادية ، لأن أكثر القرى كانت قد خلت من الرجال الأشداء القادرين على الأعمال الزراعية ، وتولى هذه الأعمال الشاقة النساء ومن هم فى حكم النساء من الشيوخ الفانين والأولاد الضعاف ، فساءت حال الزراعات ، ونقصت الحاصلات وانتشر الفقر والضيق .

ثم إنهم نظروا فوجدوا أنهم فى ثورة متصلة الحلقات من نحو

ربع قرن من غير أن تمتد اليهم يد بالعون والمساعدة من خارج حدودهم ، ومن غير أن يستطيعوا حتى الاتصال بخليفة المسلمين ليعرضوا عليه حالهم ، وما يعانونه من الشدة وسوء الحال .

لابد أن هؤلاء المجاهدين — أو أغلبهم — فكروا فى هذا كله ، فرأوا سوء الحال المنذر بأسوأ مصير ، فوهنت عزائمهم وتراخت وبدأ الناس يتسللون من حول شامل شيئاً فشيئاً ، ثم بدأت الحرب المعروفة بحرب القرم بين الروس والحلفاء : (الأتراك والانكليز والفرنسيين) . فى النصف الثانى من سنة ١٢٧٠ ﻫ ، واستمرت إلى النصف الثانى من سنة ١٢٧٢ ﻫ ، ولكن الشيخ شاملا لا يستطيع انتهاز هذه الفرصة الموانية . لما قدمنا من الأسباب ، ولم يستطع الحلفاء ، مد يد المساعدة للشيخ شامل لأن الطريق بينه وبينهم كانت مقفلة تماماً .

أقول هذا على الرغم مما جاء فى « لاروس » فى أثناء ترجمة الشيخ شامل من « أن الحلفاء لم يقصروا فى تقديم المعونة إلى شامل ، اذ كانوا يقدمون إليه ما يحتاجه من لوازم حربية » .

أقول هذا لسببين اثنين: الأول ان الطريق بين الحلفاء والشيخ شامل كانت مقفلة تماماً من جميع الجهات ، فلم يكن من الممكن الاتصال به من الخارج .

والسبب الثانى هو أن الذين أرخوا لثورة الشيخ شامل وذكروا دقائقها ، وتتبعوا تفصيلاتها لم يذكروا شيئاً عن هذا العون المزعوم . على أنه لو كان حديث هذا العون صحيحاً لرأينا شيئاً من الحياة والانتعاش فى الثورة إبان حرب القرم ، ولكن على العكس من ذلك تماماً نجد شيئاً من الهمود والجمود يعم أرجاء البلاد طول تلك المدة . إذا صرفنا النظر عن بعض الحوادث المتفرقة التى وقعت هنا وهناك فى فترات متقطعة . مما لابد من مثله بين فريقين طال أمد القتال بينهما أكثر من خمسة وعشرين عاماً .

٨ - لما انتهت حرب القرم ، ووقع الروسيين شروط الصلح مع الحلفاء فى باريس فى ٣٠ مارس سنة ١٨٥٦ م و ٢٣ رجب سنة ١٢٧٢ ﻫ تفرغوا لقتال شامل ، ووجهوا كل همهم للقضاء عليه ، وانهاء حال الثورة فى جبال القوقاز التى طال عليها الأمد، ولهذا نجد الروسيين يجهزون قوة عسكرية كبيرة مكونة من نحو (٦٠,٠٠٠) رجل ويرسلونها إلى القوقاز ، ثم تتابعت حملاتهم العسكرية بعد ذلك كما نشط جواسيسهم ودعاتهم لاستمالة بعض القبائل والأعيان إلى جانب الروسيين بما كانوا ينثرونه من الأموال الطائلة . فلما كان أواخر سنة ١٢٧٤ﻫ .(١٨٥٨م) كان كثير من أهل الجهات النائية قد خرج على الشيخ شامل ، وأخذ يقوم ببعض الخدمات للقوات الروسية ، كشق الطرق وحراستها وما إلى ذلك ، وفى شهر رجب سنة ١٢٧٥ ﻫ (فبراير سنة ١٨٥٩م) جاء الروسيون بقوة كبيرة ، وحاصروا شاملا وأنصاره فى مقر قيادته فى قلعة « بكى درغية » .

ضيق الروسيون الحصار على شامل وأصحابه ، وقاتلوه قتالا شديداً إلا أنهم لم ينالوا منه نيلا لحصانة القلعة وشدة دفاع المجاهدين وبعد نحو أربعة أشهر من هذا الحصار تراجع الروسيون وفكوا الحصار عن القلعة ومن فيها ، فانتهز الشيخ شامل هذه الفرصة ، وخرج مع جميع أصحابه ، ونقل كل ما أمكن نقله من المدافع والمهمات والأرزاق ، وذهب إلى قرية « ايشجيلى » ورابط فيها إلا أن الروسيين لاحقوه هنا أيضاً ، وهاجموه وأحاطوا به ، وبعد أن استمر القتال بين الطرفين نحو شهرين اضطر الشيخ شامل — تحت تأثير قلة رجاله وسلاحه الذى بقى لديه — إلى الانسحاب من هنا أيضاً ، واتجه بأهله وعياله ومن رافقه من مخلصى أصحابه إلى قلعة « غونيب » الحصينة ، وتحصن فيها ، كان ذلك فى أول المحرم سنة ١٢٧٦ ﻫ (٣١ يولية سنة ١٨٥٩ م) .

٩ — تحصن الشيخ شامل بقلعة « غونيب » الحصينة ، ثم لحق به بعض المجاهدين المخلصين حتى بلغ عددهم نحو ثلثمائة رجل من المحاربين غير النساء والأطفال من آل شامل .

ولكن ما ذا عسى أن يصنع هؤلاء الثلثمائة رجل أمام هذه الجيوش الجرارة التى أحاطت بالقلعة إحاطة السوار بالمعصم ؟ فى هذه الأثناء صدرت إرادة قيصر الروس إلى قائد قواته فى القوقاز بضرورة القبض على الشيخ شامل حياً مهما كلف ذلك من ثمن.

ولهذا أخذت القوات الروسية تضيق الخناق على قلعة « غونيب » وفى الوقت نفسه طلب قائد الحملة الروسية من الشيخ شامل التسليم ، ووعده بالابقاء على حياته هو ومن معه من المجاهدين ، والنساء والأطفال .

(البقية فى العدد القادم)

برهان الدين الداغستاني

وإذا أتى يوما ..

مترجمة عن فوزيه بروك

للأستاذ محمد على مخلوف

في الربوة الغنـــاء قد أبصرتها يوماً تســير
يهفو النسيم بثـوبها فتثور كالطفل الغرير

هي في الخمـــائل زهرة رفت ، فحياها الربيع
تصبو القلوب إلى الجما ل وتفتدى الحسن البديع

وقفت ترجى أن يعو د مع المساء حبيبها !
ترنو إلى الشمس الـكئيـ ـبة والحنين يذيبها

وتقول : مالك لا تعو د فتطرد الحزن العميق ؟
هل عاقك الداء الممض أو انحرفت عن الطريق ؟

أو قد مللت وحطمت يمناك مصباح الغرام ؟
أنسيت أنى فى انتظا رك — يا حبيبي — منذ عام ؟

عد يا حبيبي … إننى دون العذارى لا أخون
قلبي يعيذك أن تكو ن مصدقاً فيه الظنون

هذا جمـــالى … منحة عظمى حبتك بها السماء
فذق النعيم … فطالمـــا قد ذقت فى الحب الشقاء

عيني يلوح الصفو فيـ ـها مثل مرآة الأمل
ثغرى ترف على لما ه العذب أزهار القبل

عد يا حبيبي … فالحيا ة قصيرة أســـبابها
سلب السعادة من يديـ ـنا خلسة ســـلابها

لـكن من تهـواه آ لى منضـــباً ألا يعود
كم بات يبكى من نوا ها . والنجوم له شهود

قد سار لا يدرى أينـ ـعم أم يعذب فى الحياه !
لفت أعاصـــير الزما ن شبابه ولوت خطاه

فى مجهل العيش الجديـ ـب رمت به كف القدر
والبؤس ليـل مظلم لا نجم فيـــه ولا قمر

بين الضباب ، أقام ينـ ـشد حلمه … بين الضباب
ظمآن يشرب فى صحا رى الوهم من نهر السراب

هيهات أن يتفاهم الـ ـعشاق إن صدق الوداد
فالحب إما صح بيـ ـن اثنين لجا فى العناد

« والعقم فى دنيا الهوى الـ ـعذرى غاية كل جود »
فإذا قضيت وما قضيـ ـت لبـانة نلت الخلود

خفت لمخدعهـــا وأد معها من البلوى تسيل
لم تلق فى الروض البهـ ـيج حبيبها النائى الجميـل

نضت الثياب الحمر … آ ه من الثياب وما تبيح
وتخاذلت فوق الفرا ش كأنها ظبى جريح

حنت إلى الماضى البعيـ ـد … وأين ماضيها البعيد ؟
وأدته أحداث الليـــا لى ، وهو فى الدنيا وليد

دب السقام إلى الجميـ ـلة فامحى طرس الشباب
يا رحمتا للحسن يهـ ـوى مثلما يهوى الشهاب

راحت تقول لأختهـــا والليل قد أرخى السدول
إنى سأقضى … فاحفظى أختاه عنى ما أقول :

إن عاد يوماً ذلك الـ ـنامى وساءل : أين « مارى » ؟
قولى له ماتت … وكنـ ـت لشمسها الغيم الموارى

وإذا شدا يوماً بألـ ـحان الصبابة أو ترنم
قولى له : إنى بصر ت بطيفها حياً وسلم

لا تسأليه كيف يشـ ـدو فى حبور وابتهاج
عما قليل سوف يصبـ ـت حين ينطفىء السراج

قالت لها ... وإذا أتى | يوماً إلى الروض النضير
وجثا هنـــاك على بسا | ط العشب يستاف العبير

ماذا أقول ؟ أأسكب الـ | ـعبرات للذكرى الحزينه ؟
أم أجمل الزهرات إكـ | ـليلا يزين به جبينه ؟

قالت لها ... غنى له | أنشودة القلب الكبير
فإذا بكى ... قولى : لقد | ذكرتك فى النزع الأخير

قالت : فإن نسى الغرا | م وعهده ماذا أقول ؟
قالت لها : قولى له | كل النجوم إلى أفول

وإذا أراد زيارتى | لا تصحبيه إلى المقابر
فلعـــله يقضى إلـ | ـى بما يكن من الخواطر

وإذ رأيت بنـــانه | مرت على خصل جديـله !
قولى له ... يا طالمـــا | داعبت «مارى» فى الخميله

وقضت ... وعاد ... لجن من | هول الفجيعة فى فتاته
ما زال يلثم قـــبرها | حتى تخلص من حياته

(القاهرة) محمد على مخلوف

خواطر مسجوعة :

العبقرى المجهول ... !

كأنك سائلى أيها الفطين ، عن كائن لم يكن ... أو كأنك تقول : من العبقرى المجهول ؟ وما هو يا صاحبى سوى إنسان ، محتجب فى عالم النسيان ، غفل عنه التعداد ، ولم تشعر له الدنيا بميلاد ، فضاع فى أمته ، وحار فى منبته ، كشباب أذبله اليأس ، أو عقل سلبته الكأس ، أو روض فى مجهل ، أو علم فى سفر مقفل ، أو بدر حجبه السحاب ، أو نضار غطاه التراب ، أو در فى صدف ، لم يُكتشف ، أو سر خطير ، فى ضمير ، أو غناء ، فى أذن صماء ، أو بذر طيب ، فى واد مجدب ، أو عقد مضىء فى جيد أمة سوداء ، فهى برغم ضوئه كالليلة الليلاء ... ! يعيش فى هذه الدنيا حراً مقيداً ، أبياً مهدداً ، بريئاً مظلوماً ، حياً معدوماً ، لا يلقى إليه العالم بالا ، وإن أضفى عليه من أدبه جمالا ، صنيعه مجحود ، وفضله محسود ، كالوردة ذات الشذى ، لم تسلم من الأذى ... ! !

ولن يؤثر قوم المادية الفانية ، على الروحية الباقية ، إلا إذا رضوا أن يعيشوا مع الماشية ، سواسية ! ولن يسود الناس ، من يقتل الإحساس ، ويطفىء النبراس ، ويبنى على غير أساس !

وليست الحياة أن تتنفس كما تتنفس الآلة بضغط البخار ، وإنما الحياة أن نشعر بأننا نحيا حياة الأحرار ... وكلما سما الشعور ، امتد أفق النور ، والقضية بالعكس ، إذا انحدر الحس . فإن نصيب الأصم من الغناء ، كنصيب الأعمى من الروضة الغناء ، ونصيب المزكوم من العطور ، كنصيب الأمى من هذه السطور !

والشعب الذى له من الحياة نصيب ، لا يهون فيه أديب ، وإنما يهون فى شعب محتضر ، كما تهون الدنيا على المنتحر !

(الزنكلون) حامد بدر

الأدب والفن في أسبوع

رسالة الأدب وجائزة فؤاد الأول :

كتب « ا . ح » مقالا بمجلة « الصباح » عنوانه « الأدباء المعاصرون فى مصر — وهل فهموا رسالتهم الفكرية ؟ » قال فيه إن بعض كبار كتابنا من المشتغلين بالأدب والتأليف ، ثار فى الأيام الأخيرة ، لحرمان الأدباء من جائزة فؤاد الأول الأدبية ومن حق كل متفوق أن يحنق لذلك ، بعد أن منح الجائزة رجال القانون والعلوم .

ولكنه يرى أن تلك الثورة لا تمنع من تقرير حقيقة اجتمع الرأى عليها « وهى أن أدباءنا على كثرة ما ألفوا من كتب ، وما أصدروا من مؤلفات ، لا يزالون بعيدين عن فهم رسالتهم الحقيقية فى المجتمع »

ويحدد الكاتب رسالة الأدب التى يرى أن الأدباء لا يزالون بعيدين عنها ، فيقول : إن الأدب هو الحياة ، وكل أدب لا يصور حياتنا ، ولا يتصل بها اتصالا يهدف إلى تجديدها ، من حيث التنبيه إلى مافيها من أخطاء ونقص ، والدعوة إلى إصلاح عيوبها أو التحذير من أخطاء هذه العيوب — هو أدب زائف لا يمس حياتنا ، ولا يؤدى الخدمة المنشودة منه ، إنه يكون أدباً غير متفاعل مع عواطفنا ، قليل الاهتمام بهمومنا ومشكلاتنا الروحية »

ثم يتساءل : هل فى كتب الأدب الكثيرة التى أنتجها رجال الفكر فى مصر ما حقق رسالة الأدب على هذا الأساس ؟

وهو يرى إلى أن أكثر تلك الكتب ألف فى البحوث الأدبية عن آداب العصور الماضية ، وأن توجيه أكبر الجهد إلى ذلك دون ابتكار أدب تجد فيه الأمة ما يحفزهما للنضال من أجل الحرية أو إرشادها إلى الطريق القويم الذى تسلكه فى الحياة — إنما هو قصور فى تأدية رسالة الأدب على حقيقتها ، وعندما نستطيع إنتاج أدب يتسم بالخلق والابتكار ، ويعالج مشاكلنا الكثيرة ، ويصحح أوضاع حياتنا المقلوبة ، ويتجه بمجتمعنا نحو الرقى عندئذ نستطيع أن نغضب إذا حرم أدباؤنا من أى جائزة رصدت للمتفوقين منهم فى أى فرع من فروع رسالتهم السامية ...

وهذا الذى كتبه كاتب الصباح « كلام جد » عبر فيه عما يشعر به الكثيرون ، فإننا إذا أحصينا إنتاجنا الأدبى المعاصر نجد أكثره إما دراسات لأدب العصور العربية الماضية ، وإما دراسات ومترجمات من الآداب الأجنبية ، فأما الأدب الذى يصور حياتنا ويعبر عن ذات أنفسنا فهو قلة ، مع أنه هو الأدب الأصيل ، وما البحوث والدراسات إلا خدمة له ، وليست الترجمة إلا « استيراد » له من الخارج .

وقد كان لنا العذر فى قلة إنتاج الأدب الأصيل فى الصدر الأول من هذا العصر ، لأنه كان عصر نهضة ، والنهضة تحتاج إلى كثرة النقول ودراسة الآثار ، لنتزود منها ونبنى على نافعها ، أما الآن فلا عذر لنا فى كثرة الدوران حولها ، وإهمال أنفسنا ، فلا نبنى لزماننا كالذى بنى أسلافنا لزمانهم ...

هذا من ناحية الموضوع العامة ، أما ناحيته من حيث استحقاق جائزة فؤاد الأول الأدبية فثمة أمران يرجحان كفة الأدب الأصيل : الأول هو ما قدمناه من بيان أهميته ، الأمر الثانى يمكن استخلاصه من المرسوم الملكى الصادر بإنشاء جوائز فؤاد الأول وفاروق الأول ، فقد جاء فيه : « يشترط فى الإنتاج الذى يقدم فى المسابقة فى كل عام أن يكون ذا قيمة علمية أو فنية ممتازة تظهر فيه دقة البحث والابتكار [ويهدف خاصة إلى ما يفيد مصر] والانتاج القوى » والشرط ينصب على الآداب والعلوم والقانون ، وجميعها لا بد أن تهدف إلى ما يفيد مصر ، ولا شك أن الأدب الذى يعالج مسائل مصر ويصور حياة مصر وينبعث من البيئة المصرية ، هو أقرب الآداب إلى فائدة مصر . وصحيح أن المرسوم نص على أن جائزة الآداب تشمل « الآداب البحتة مثل الأدب القصصى ، الأدب التصويرى ، الأدب الاجتماعى ، الشعر ، البحوث الأدبية (النقد ، البحوث اللغوية الدراسات الإسلامية الأدبية) والتاريخ والجغرافيا والفلسفة والآثار »

ولكنه إلى تقديمه الآداب البحتة ، قيد الجميع بأن تهدف خاصة إلى ما يفيد مصر . وستجتمع لجنة جائزة الآداب وتنظر فى

كل ذلك لتقرر منح الجائزة لمن يستحقها فى العام القادم بعد أن أجلتها هذا العام ، ولا إخالها إلا مرحبة بمعرفة اتجاه الرأى الأدبى العام، وتقدر ما يبدى من الآراء التى يراد بها واجهة الأدب الخالصة

قضاة الغرام :

أرادت مجلة « الاثنين » أن تستفتى الأدباء فى مشكلة من أهم المشاكل التى تشغل بال الرأى العام فى هذه الأيام ... هى مشكلة غرام ! فقد ساءت العلاقة بين شـــاب وفتاة ، وتكرر وقوع الاعتداء من أحد الطرفين على الآخر ، فأصبح الأمن بذلك مهدداً فى عالم الغرام ... ولم يستعن الفتى بخبراء ، ولم ينتظر قرار هيئة مستشارين ، بل أسرع فى كتابة العريضة ورفعها إلى « الاثنين » يقول إنه أحبها ، وأحبته ، وهو رقيق الحال معتز بكرامته ، وهى ربيبة نعمة وجاه « واعتدى المال على الفقر مرة واثنتين وثلاثاً ، وثارت الكرامة وتطلبت الاعتذار ... ولكن الفتاة لم تعتذر ، لأنها لم تتعود الاعتذار . وإنه لفى حيرة لا يدرى أيكون أكثر شقاء بالصفح والغفران ، أم بالقطيعة والهجران ... »

وتلفتت « الاثنين » — أو الاثنان — حولها ، تبحث عمن ينظر القضية . ومن لها غير الأدباء ؟ أليسوا أساة القلوب وقضاة الغرام ؟ ومتى نلجأ إليهم إن لم يكن هذا وقتهم ! وفيم تحكمهم إن لم يحكموا فى هذا الأمر الجلل ؟ أفى كهربة خزان أسوان ولا يتصل لمثل هذا بهم شغل ؟ أم فى مسائل تتصل بأدبهم ولكنها تشق على الأذهان الناعمة ... ؟

وأصدر الأدباء ، فلان وفلان وفلان ، حكمهم ، فمنهم من رأى أن كل شىء يهون إلا الشرف ، ومنهم من قال : لغة الحب الصفح ! ومنهم من أنشد : « ليس لمخضوب البنان يمين »

وهكذا عولجت المشكلة وانتهت القضية واستتب الأمن فى عالم الغرام !

ولكن هل ينبغى أن تقصر العناية على هذه المشاكل « الحيوية » ؟ وهل يصح ألا يدعى الأدباء إلى غير ذلك مما يهم الناس ... ؟

باسم أدباء العرب :

من الانباء الأخيرة أن أحد أعضاء المؤتمر الدولى لنادى القلم المجتمع فى زوريخ ، اقترح اتخاذ قرار بالثناء على الشعب اليهودى والإنحاء باللائمة على خصوم الصهيونية والرغبة فى معاملة الوطن القومى لليهود على قدم المساواة مع سائر دول العالم ، فقابلت كثرة المؤتمر هذا الاقتراح بالتصفيق

غير أن الأستاذ كميل أبو صوان مندوب لبنان (وهى الدولة العربية الوحيدة الممثلة فى المؤتمر) قد احتج على هذا الاقتراح باسم الأدباء العرب ، مما أدى إلى نقاش عنيف بين أعضاء المؤتمر انتهى برفض الاقتراح لأن قانون المؤتمر يحرم التعرض لأية مسألة سياسية

وهذا — دون شك — عمل رائع من الأستاذ كميل أبو صوان ، ومما يزيد روعته أنه أدى إلى رفض الاقتراح الذى أريد به تأييد الصهيونية .

المجمع وتيسير الكتابة العربية :

لما كان تيسير الكتابة العربية موضوع مسابقة جائزتها ألف جنيه ، وقد دخل فيه نحو مائتى متسابق بينهم فنيون وفنانون لهم قيمتهم ، وهم يختلفون فى منازعهم ، حتى إن مجمع فؤاد الأول للغة العربية القائم ببحث هذا الوضوع ، تلقى رسائل فيه من أمريكا ومن روسيا ومن الهند وغيرها من سائر الأقطار والأصقاع ، ولأهمية هذا الموضوع وخطورة أثره ، رأى المجمع ألا تنفرد لجنة تيسير الكتابة العربية بالحكم على هذه المشروعات ، وأن ترجىء نظرتها حتى تسمع رأى حكام فنيين فى الخط وفى الطباعة ، فقد يعجب اللجنة مشروع يصعب تنفيذه فى العمل ، فتبطل قيمته ، وتنعدم جدواه ، وقد يروق اللجنة مشروع من وجهته العامة ولكنه فى أداء مقتضيات الكتابة العربية ناقص أو عسير التحقيق ، ورأت اللجنة أن أعضاءها وإن كان لهم بصر بالكتابة العربية ، وسابق نظر فى المشروعات والمقترحات التى بسطت للتيسير ، فإنهم ليسوا بالفنيين المتجردين لشــئون الخط والطباعة

لذلك كله قرر مجلس المجمع ، فى جلسته التى ختم بها دورته الماضية ، تأليف لجنة من فنيين فى الخط وفى الطباعة اختار لها المدير العام لمصلحة المساحة رئيساً ، ويتكون أعضاؤها من كبير الخطاطين بمصلحة المساحة ، والأستاذ سيد ابراهيم الخطاط ،

والشيخ محمد فخر الدين بك ، ومدير المطابع والتوريدات بمصلحة السكة الحديد ، ورئيس مطبعة دار الكتب ، والأستاذ شفيق متري صاحب دار المعارف . وضم إليهم الأستاذ شارل كونتز مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة باعتباره فنياً في الخطوط السامية وأحد الذين تتبعوا تطور الكتابة العربية ، ليقارن بين الخطوط المقترحة وبين الخطوط السامية

وتعقد هذه اللجنة بدار المجمع اجتماعات أسبوعية توالى فيها النظر في المقترحات المقدمة . وينتظر أن تقدم تقريرها في هذه المهمة إلى المجمع قبل انتهاء عطلة الصيف حتى يستطيع المجمع أن ينظر فيها في مقتبل دورته القادمة ...

المؤتمر الثقافي العربي :

عرف القراء مما كتبناه في عدد مضى من الرسالة أن اللجنة الثقافية بالأمانة العامة للجامعة العربية دعت إلى عقد مؤتمر ثقافي بلبنان في سبتمبر القادم تنفيذاً لسياسة التعاون الثقافي بين الدول العربية . ونذكر اليوم ، إلى ما بيناه فيما مضى ، أن المؤتمر سينعقد في فندق بيت مرى الكبير ويبدأ في اليوم الثاني من سبتمبر ويستمر إلى التاسع منه ، وسيكون تحت رعاية فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية ، أما رئيس المؤتمر فهو وزير التربية الوطنية (المعارف) اللبنانية ، ويرأس معاليه أو من ينوب عنه حفلات الافتتاح والختام والمحاضرات العامة . أما الاجتماعات التي تخصص لمناقشة مقترحات اللجان الفرعية الفنية وأخذ الآراء فيها ، فينيب معاليه عنه في رياستها رئيس اللجنة الفرعية المختصة لعرض وجهة نظر اللجنة وتوجيه المناقشات واتخاذ القرارات ...

وقد نشرت بعض الصحف أن المؤتمر ستشترك فيه بعض السيدات المثقفات . وقد عرفنا أن الأمانة العامة لم تتلق بعد أسماء سيدات لهذا الغرض ، ولكن إذا رأت إحدى الهيئات الرسمية أن يكون من ممثليها سيدات فإنها لا تمانع في ذلك ، كما أنها لا تمانع في حضور سيدات مثقفات من غير الهيئات الرسمية جلسات المؤتمر مستمعات كثيرهن من الرجال ...

وقد تلقت الإدارة الثقافية بالجامعة العربية من جامعة فؤاد الأول أن مجلس إدارتها وافق على إيفاد حضرتي الدكتور محمد عبد المنعم الشرقاوي والأستاذ أحمد محمد الشايب لحضور المؤتمر الثقافي ، وتلقت من وزارة المعارف العراقية أن ممثلي العراق في المؤتمر هم الدكتور جواد علي والدكتور مصطفى جواد والأستاذ إبراهيم شوكت ، ويمثل فلسطين السادة وصفي العنبتاوي والدكتور إسحاق الحسيني والأستاذ أحمد خليفة من كبار رجال التعليم بحكومة فلسطين ...

والمفهوم أن قرارات المؤتمر سترسل إلى الدول العربية للعمل على تنفيذها ، وأنه وإن لم يكن هناك إلزام رسمي بذلك إلا أن الفكرة العامة من حيث الرغبة في الاتحاد والتقارب الثقافي بين الأمم العربية ، تكسب تلك القرارات نوعاً من الإلزام الأدبي ...

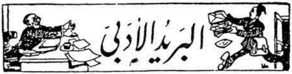
مؤتمر الآثار العربي :

وقد عرف القراء أيضاً نبأ انعقاد مؤتمر للآثار العربية بسورية قبل انعقاد المؤتمر الثقافي بلبنان ...

ونضيف إلى ما سبق أن مؤتمر الآثار سيعقد بدمشق ويبدأ في الثالث والعشرين من أغسطس القادم وينتهي في آخره ، بحيث يبدأ على أثره المؤتمر الثقافي بلبنان في أوائل سبتمبر كما تقدم وسيكون مؤتمر الآثار العربي تحت رعاية فخامة رئيس الجمهورية السورية ، ويرأسه معالي وزير المعارف بسورية ...

ويمثل جامعة فؤاد الأول في المؤتمر الدكتور زكي محمد حسن والدكتور أحمد بدوي ، ويمثل دار الآثار العربية بالقاهرة الدكتور محمد مصطفى أمين الدار ، ويمثل العراق السادة فؤاد سفر وطه باقر وبشير فرنسيس ... وقد أبرقت وزارة المعارف السورية إلى الإدارة الثقافية بأن مندوبها الرسمي الأول هو الأمير جعفر الحسني ، وأن المندوب الثاني هو السيد سليم عادل ...

« العباس »



رحلة الدكتور عزام إلى الهند :

ابتداء من العدد المقبل سننشر المقال الأول من رحلة الهند للدكتور عبد الوهاب عزام بك ، وهى مقالات تتسم بالبلاغة والجمال والسمو والصدق كل ما يكتبه الأستاذ ، فضلا عن ظهورها فى الوقت الذى تنشأ فيه بالهند دولة الباكستان الإسلامية. وأكثر الناس لا يعرفون من روح الهند وأسرارها ما يساعدهم على إدراك هذا النظام الجديد وتأثيره فى مستقبل الإسلام وأهله .

أدباء العروبة فى مجلس الشيوخ :

نشرت الصحف اليومية أن الشيخ المحترم «فريد أبو شادى» طلب إلى مجلس الشيوخ استجواب رئيس الوزراء عن التصرف الذى وقع لحساب جامعة أدباء العروبة .

وقد أشار الشيخ إلى هذه التصرفات فى كتابه إلى رئيس مجلس الشيوخ « ... من استغلال النفوذ وتسخير مواصلات الدولة ، وإذاعتها لهذه الهيئة المسماة أدباء العروبة » .

ولقد مر الناس على ذلك فكان مجال تعليق ، وموضوع أحاديث ... وإذا كان من حق الشيوخ والنواب مراقبة الحكومة فإن من حق الأمة مراقبة هؤلاء ، ومناقشتهم أحياناً ، ومناقشتهم فيما يند عن المعقول من رقابة أداة الحكم فى هذا البلد .

وليس مما يدخل فى نطاق المعقول ، ولا مما يستساغ أن يؤخذ على الحكام استغلال نفوذهم فى الصوالح العامة ، وإنما يكون ذلك حيث يستغل الحاكم سلطانه فى أموره الشخصية ، ومصلحته الفردية

وليس كثيراً على الأدب أن يتوكأ على نفوذ الدولة ، وأن تسخر له مواصلاتها ، وإذاعتها ، ولعل الأقرب إلى الواقع أن نقول : إن المواصلات والإذاعة هما اللتان سخرتا الأدباء فى هذه الحفول الأدبية .

ثم إن أدباء العروبة لم يمسوا ميزانية الإذاعة المحدودة ، ولم ينالوا كثيراً من وقتها الثمين الذى تدبره الأقدار فى مصر لإذاعة « من فوق لتحت » وأمثال هذه الأشياء الرخيصة المريضة التى تبهظ ميزانية الإذاعة ، وتستنفد وقتها .

إن نهوض الفن فى الأمم يقترن عادة ببذل عظيم تقدمه الأمة راضية للفن ، وفى التاريخ الأدبى قديمه وحديثه شواهد كثيرة تطالعك فى عصور النهضات الأدبية بما كانت تصنعه الأمم للفنون حتى تأخذ سبيلها إلى الرقى ، والحياة .

هذا ما يقع فى كل بلاد الله ... أما فى مصر فيستجوب شيوخها الحكومة عن التصرفات التى تقع لحساب الجوامع الأدبية

ولقد كنت أفهم أن يتكلم الناس فى المادة الأدبية التى قدمتها هذه الجماعة من حيث هى فن ... فأما الفكرة الجليلة التى يضطلع بها الرجل الجليل ابراهيم دسوقى أباظة فإن مكارمها تعتبر غميزة لثقافة هذا البلد ووعيه وشعوره .

ولقد كنت أفهم أن يستجوب الشيوخ الحكومة عن مدى مساعدتها لهذه الجماعات الأدبية ، وعن الوسائل التى أعدتها الحكومة لضمان حياتها ، فأما هذا الاستجواب فإنه إن دل على شىء فإنما يدل على أننا لا نزال فى حاجة إلى جهود كبيرة قبل أن نصل بالأدب فى مصر إلى المكان اللائق به .

طاهر محمد أبو فاشا

أمانة النقل :

تحت هذا العنوان قرأت فى مجلة الرسالة كلمة للأستاذ على الطنطاوى عرض فيها لكتاب (عثمان بن عفان) وإنى أستميح الأستاذ أن أقول له : إن أمانة النقل لم تفقد من الأزهر ، وإن الأزهر لا يزال دارها ومستقرها ، وإن أهله أهلها ، يحرصون عليها ، ويعرفون لها قدرها ، لأن مؤلف كتاب (عثمان بن عفان) وهو من أبناء الأزهر ، قرأ فيما قرأ كتاباً مطبوعاً ذائعاً بين الناس ، وعلى طرته عنوانه « سيرة عمر بن الخطاب » ... تأليف الشيخ على الطنطاوى ، وأخيه ناجى الطنطاوى ، ونقل منه إلى كتابه (عثمان بن عفان) فى فصل تحقيق مقتل عمر ما رآه عاضداً لرأيه ، مؤيداً لمذهبه ، مصدراً نقله بقوله : « وقال الأستاذان الفاضلان صاحبا كتاب سيرة عمر فى تعليقة فاحصة » وذلك بعيد قوله : « وإلى هذا ذهب كثير من المؤرخين القدامى والمحدثين » فأين وجد الأستاذ فقدان أمانة النقل من الأزهر؟ فهل يفهم قارىء كتاب (عثمان بن عفان) بعد هذا التصريح الصريح باسم الكتاب المنقول منه ، ووصف صاحبيه بالفضل — وهما له أهل — ووصف الكلمة المنقولة بما ينبه على قدرها فى موضوعها ، هل يفهم ذلك

القارىء من هذا الصنيع فقدان أمانة النقل من الأزهر ؟

ولعل الأستاذ يقصد :

أولا – إلى اختصار إسم الكتاب من «سيرة عمر بن الخطاب» إلى «سيرة عمر» وهذا اختصار لا يرتفع إلى هذه الجفوة التي اختار لها الأستاذ عنوان كلمته ، لأنه ليس في الإسلام إطلاقاً «عمر» بالاطلاق، يؤلف كتاب في سيرته غير عمر بن الخطاب فاروق الإسلام

ثانياً – إلى عدم ذكر اسم المؤلف ، وأنا قد اكتفيت بالوصف المقرون باسم الكتاب ، وهو معين عند القراء لصاحبه ، ومبدد – في الأقل – لشبهة فقدان أمانة النقل .

أما أن الأستاذ وجد في فصل تحقيق مقتل عمر من كتاب (عثمان بن عفان) كلاماً أحس أن فيه رائحة كتابه ، ولا يجد الدليل عليه ، فهذا هـذا منذ عرف الناس العلم والبحث ، ولا ينسى الأستاذ أن كتابه معقود في أصله على الأنقال التاريخية من مصادرها التي تتداولها الناس أو تحضنها المكتبات العامة والخاصة

وأما أن الأستاذ تألم لأن كثيرين ، وفيهم من يعد من كبار المؤلفين ، غصبوا من كتابه ، وجعلوه نهباً مقسماً ، فهذه جناية لم يشهدها الأزهر ، بيد أن الأستاذ جعله سبابة التندم .

هذا وإني لأشكر للأستاذ شهادته العظيمة لكتاب (عثمان ابن عفان) حسبة لله وللعلم .

صادق ابراهيم عرجون

مسابقة المجمع اللغوي :

قال الكاتب الجليل الأستاذ (الجاحظ) في تعقيباته البليغة على أحداث الأدب إن المجمع اللغوي لم يصب في اختيار موضوعي المسابقة الأدبية للعام المقبل . وهما (الحياة الأدبية في المدينة في عهد الأمويين ، وكتابة بحث عن مهيار الديلمي) لأن هناك من الموضوعات القيمة ما هو أولى بأن يكون ميداناً للمسابقة .

والأستاذ الجاحظ على حق في هذا القول . غير أني كنت أوثر أن لا يجيز مع المجمع اختيار موضوع بعينه للمسابقة ، أياً كان شأنه . فأن في تحديد الموضوع حجراً على حرية الكتاب في تخير الموضوعات التي يحسنون الكتابة فيها . وهذا الحجر يجعل المسابقة امتحاناً مدرسياً تختبر به معلومات التلامذة من طريق القاطرة (الجاشنى) لا كشفاً أدبياً عن مدى ما وصل إليه الكتاب في نواحي النبوغ المختلفة ، حيث تتعدد وجوه الفائدة بتعدد وجوه البحث .

وإلا فأيهما أنفع للمجتمع ، مائة كتاب تكتب في غرض واحد ، أو مائة كتاب تكتب في مائة غرض من أغراض الأدب؟

لا شك في أن تحرر الكاتب في اختيار موضوعاته أضمن لإجادة الكتابة فيها . فلو أن كتاباً ككتاب (الله) مثلا – وهو ما هو بين الكتب – اقترح موضوعه على مؤلفه الأستاذ (العقاد) – وهو من هو بين الكتاب – لما وصل به العقاد إلى هذه الغاية التي ليس بعدها غاية . وقس على ذلك سائر الكتب التي كتبها كاتبوها مختارين فوصلوا بها إلى حد التفوق

بل إني لأجد المثل في نفسي وفي نفس المجمع اللغوي . فقد تفضل المجمع فمنح ديواني جائزة الشعر الأولى في هذا العام ، وتفضل الأستاذ الجاحظ فعقب على هذه الجائزة بما أنا مدين له بالشكر عليه ولكني أشك كل الشك في أني كنت أظفر بهذه الجائزة لو أن المسابقة كانت قصيدة واحدة اقترح المجمع موضوعها على المتسابقين . فقد يكون الموضوع غير حبيب إلى نفسي ، فلا يسلس فيه شعري ولا يتفوق . فليت المجمع الموقر يطلق الكتابة في المسابقة من قيد الموضوع كما أطلق الشعر . ثم يستعرض كتب العام ، والخمسة الأعوام فما رآه منها بالغاً حد التفوق أجاز كاتبه أو توجه مشكوراً

محمود عماد

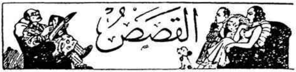
مصر ملجأ الأحرار :

كان لهبوط البطل الأمير عبد الكريم الخطابي وادي النيل رنة فرح وسرور شملت البلاد كلها من أقصاها إلى أقصاها – وقد وجد في رحاب جلالة الفاروق كل عطف وتقدير ، كل ذلك جعله يلهج بالثناء على مصر وأهلها .

ومصر الكريمة وعلى رأسها مليكها الشاب – وقد أعز الله الإسلام بها – ترحب بكل لاجىء عربي كريم ولو كره المشركون ، حيا الله مصر ومليكها .

ذكرتني هذه المناسبة الكريمة بقصيدة مخمسة طويلة نشرتها مجلة المقتطف سنة ١٩٠٦ لشاعر بغدادي لم يذكر اسمه بل رمز إلى اسمه بحرف ج ... ويغلب على ظني – من أسلوبها السهل الممتع ، أنها للشاعر العراقي المبدع جميل صدقي الزهاوي ، تحت عنوان «أنت يا مصر ملجأ الأحرار» مطلعها :

إن سجع الحمام في الأسحار ... وهبوب النسيم بعد القطار
وبريق النـــدى على الأزهار ... وخرير المـاء الزلال الجاري
موحيات إلى بالأشـــعار



السيدة أيدس

عن الإنكليزية

بقلم السيدة الفاضلة منيبة الكيلاني

تستدير من حول مقاطعة كنت « Kent » في أنكلترا قطعة من الأرض وتستنيم إلى ساحل البحر فيما يشبه في علم الجغرافيا الرأس وتقوم عليها قلعة من قلاع القرون الوسطى وتحدق بهذه القلعة آجام تمد الصناعة بالكثير من الأخشاب وتمد الصيد بالوفير من الطيور والحيوان .

وتستدير هنا وهناك برك من الماء اللجيني تضاحك الشمس عامة النهار وتغازلها ساعتي المغيب والشروق عرايس بنات الهديل في أيام الربيع فتتسارع من غصن إلى غصن ترتل النشيد الذي يملأ النفس خشوعاً .

ولفرط ما تشابكت أشجار الكستناء وتعانقت أغصان السنديان فقد أضحى الدرب الذي يسلكه السالك إلى بيت السيدة أيدس تسوده الظلمة حتى قبل أن يحلولك الأفق بوقت طويل وقبل أن يمحو الليل خطوط الشفق . أما القمراء وما فيها من سحر وفتون فما كانت لتعرف هذا الدرب ولا تستطيع أن تنفذ إلى ثناياه مها كانت أشعتها خارقة ، غير أن الصمت والهدوء الذي يستفز الخاطر استفزازاً كانا يعرفان درب منزل السيدة أيدس ويحيان فيه طويلا ...

ولقد كانت الليلة التي نسجل أحداثها إحدى ليالي نوفمبر وقد انتشر الثلج من ذلك العام ، والدرب ساكن هادئ كأنه قد تردى بأكثر من ثوبه المعتاد صمتاً ، فما كان ليسمع فيه أبداً غير وقع أقدام الرجل الذي يسلكه في تلك الساعة وغير نباح كلب ليس بالبعيد ، ولقد كان وقع الأقدام لفرط السكون من جهة والطبيعة الدرب من جهة أخرى يأتي بصدى غريب كأنه وقع لأقدام متآثرة ملحاحة تريد القبض على السالك ، وتنفذ السير

شاعر بالعراق ينظم شعرا فيرى دون نثر ما قال عسرا
فيهادى به على البعد مصرا حيث يلقى الشعر المهذب نشرا
إن مصراً ريحانة الأمصار

تبلغ النفس عند مصر مناها طيب الله بالسلام ثراها
بلدة صيب النجاح سقاها يجد الحر مأمناً في ذراها
أنت يا مصر ملجأ الأحرار

يا ربوع الهوى عليك السلام أنت للنفس مقصد ومرام
في حماك النزيل ليس يضام لأولي العلم في ذراك احترام
واعتبار في الجاه أي اعتبار

(شطانوف) **محمد منصور خضر**

أسأل الرسالة :

نعم أسأل (الرسالة) السؤال الأخير حول « الهزج والوافر » فأقول : هل الوافر يلحق به من الزحاف المركب — صلح أم قبح — (النقص) وهو اجتماع العصب والكف أي إسكان اللام وحذف النون من مفاعلتن ، أم لا ؟

... لأن الجواب على هذا السؤال هو مدار البحث والجدل في أمر منصوص ومتوارد في كتب الأقدمين من العروضيين .

أنا لا أنكر أن الوافر لا يلحق به الكف — في حالة الزحاف المفرد — كما تقول (الرسالة) وإنما أقول إن الوافر يلحق به من (الزحاف المركب) النقص وهو اجتماع العصب والكف وهو شرط أساسي فيه على المعاقبة . أما (الهزج) فأمره بسيط ، إذ أن أهم ما يميزه عن الوافر هو (القبض) وهو حذف الياء من مفاعيلن أي الخامس الساكن ، هذا إذا صرفنا النظر عن الكف فأيما بيت رأيت فيه القبض فاحكم للتو بأنه من الهزج لا الوافر لأن القبض خاص به — ثم يبقى جواب الرسالة على السؤال لفض الإشكال وحسم الجدال . والسلام

(الزيتون) **عدنان أسعد**

(الرسالة) الكف لا يدخل مفاعلتن في الوافر لا مع العصب ولا بدونه. وإذا أجازه العروضيون قياساً فقد منعه الشعراء عملا والشعر العربي كله جاهليه وإسلاميه بين يدي الأستاذ ، فإن وجد شاهداً واحداً صحيحاً على وقوع (النقص) في الوافر تامه أو مجزوئه انحسم الجدل في الجواز والمنع ؛ وبقي الكلام في الحسن والقبح .

للحاق به ، وكلما أراد الرجـل أن يخفف الوطء ويقلل من وضع القدم ألفى أن الصوت لا يخف فإن هناك من الأغصان اليابسة والأوراق المبعثرة وغيرها مما يقبل الانقصام تحت قدميه المذعورتين ما يكفى لمضاعفة الصوت . وليس هذا وحده بل إن هذه العقبات قد أكدت على السالك واعترضت سرعته فحدت منها ، ولم يكن شأنه ليحتمل شيئاً من ذلك ...

ولقد بلغ أخيراً دار السيدة أيدس وهو كوخ قد انتبذ مكاناً قصياً فى آخر الدرب ، فلما بلغـه استأنى لحظة ثم عبر البقعة المعشوشبة مما يلى شباك الكوخ الذى لم يكن عليه ستار فكان النور ينبعث من زجاجه إلى الخارج .

واستطاع أن يبصر بالسيدة أيدس تنحنى فوق الموقد وتخرج منه إبريق الشاى أو شبهه وتؤجج النار ، فساورته بعض الفكر وتردد بين أن ينفذ إليها من الشباك أو أن يعوج إلى الباب فينسل إلى داخل الكوخ من هناك ، وتلبث حيث يقف ، فبان شعره الأحمر وقامته الممشوقة وأثوابه المتواضعة ووجهه المكدود الذى يعرب عن أنه من صنف العمال أو الأجراء الذين لا يصيبون من أعمالهم فوق ما يمسك الرمق كثيراً . ولم يفتح عليه تدبره الموضوع من حيث ولوج الباب أو الشباك برأى فقد كان مضطرباً ، ولكنه وطد العزم هـذه المرة فجأة على أن ينفذ من الباب فى حكمة وأن يفعل ذلك من دون أن يقرعه وبدون أن يستأذن وهكذا فعل . ولما سمعت السيدة أيدس تلك الحركة استدارت مسرعة وقالت :

ما ذا : أهذا أنت يا بيتر كروج ؟ لم أسمعك تقرع الباب

قال : إننى لم أقرع الباب يا سيدتى إذ أنى لم أرد أن يسمع ذاك أحد قط

قالت : ولماذا ؟

قال : لقد نزلت بى نازلة ، وكانت يداه ترتجفان ولونه ممتقعاً

قالت : فما ذا صنعت ؟

قال : لقد قتلت يا سيدتى أيدس

قالت : أأنت فعلت هذا ؟

قال : نعم أنا الذى أطلقت الرصاص !

قالت : أو قد مات ؟

قال : لست أدرى .

وسادت لحظات من السكون حيث يقفان من مطبخ الكوخ حتى أنذرهما ابريق الشاى بصوت غليان الماء ، فدلفت إليه السيدة أيدس على غير وعى وأزاحته عن النار قليلا ...

وكانت السيدة أيدس هذه نحيفة يبدو عليها أنها تنازعتها الأسقام زمناً ، وهى صغيرة الحجم سمراء البشرة يكسو وجهها الناشف عدد لا يحصى من التجاعيد الصغيرة ، على أنها وإن لم تكن تتجاوز الثانيـة والأربعين من العمر فإن الأيام قد قست عليها قسوة أخرجتها من معانى ذلك العمر إلى معان أخرى ، إذ أن العمل الذى كانت قد وكلت به فى تلك المقاطعة لم يكن راحماً ولا مجاملاً .

التفتت السيدة أيدس إلى بيتر كراوج وقالت له : وما ذا عساك تريد منى أيها الفتى ؟

قال : ها هم أولاء على أثرى وعجلت إليك لأستخفى عندك ؛ فلعلك مخبئة إياى فى ركن من الكوخ لا تمتد إليه أبصارهم ، حتى إذا ما ولوا الأدبار خرجت من هنا آمناً وانصرفت بعيداً عنهم .

قالت : ومن هم ؟

قال : حراس الغابة .

قالت : ويك ! أو تكون قد قاتلت الحراس وأصبت منهم واحداً ؟

قال : أجل فقد دانيت حروف الغابة أريد أن أنتزع منها ما يمسكنى ، فشعر بى هؤلاء العسس وكانوا أربعة وكنت وحيداً ، فلجأت إلى بندقيتى فسددتها إليهم وأطلقت منها رصاصة ثم هربت ، وها هم أولاء على أثرى كما قلت ، ويغلب على ظنى أنهم منى جد قريبين

ولقد سكتت السيدة أيدس لحظات كأنها تفكر ، وسكت هو كأنه يستعطف ؛ ثم بادءها بالكلام قائلاً : إن كنت يا سيدتى لا تريدين قبول رجائى من أجلى فليكن ذلك من أجل صديقى (توم)

قالت : ولكنك لم تكن من أصفياء (توم) أو المقربين إلى نفسه

قال : بلى لقد كنت ، وهو أوفى أصدقائى ، ولو كان حاضراً لما وسعه إلا أن يذود عنى ويعهد لى من داره ما أشتهى مخبأ ومكاناً

قالت : إننى لا أستطيع أن أنزلك هنا ، فقد كان (توم) يمنحك من ظنه فوق ما تستحق فلا تثريب عليك فى البقاء حتى يعود توم على الأقل فيسمع منك ما تقول ، ويقول لك ما يجب أن تسمع ، وسيعود بعد ساعة أو نحوها فما ذا أنت فاعل بعد ذلك ؟

قال : لا أدرى ولكنى لا يزال أمامى متسع من الوقت للتفكير فى الموضوع .

قالت : هنا يصفو لك التفكير (وفتحت له مكاناً فى ركن المطبخ صغيراً) ولن يخطر ببال غرمائك إذا جاءوا أنك ثاو فى

هذا المكان ولا سيما إذا قلت لهم بأنني لم أبصر بك هذا المساء .

قال لها : أنت عظيمة يا سيدتي ، وإنني أعلم أنني لا أستحق منك تلك الرعاية ولا ذلك العطف ، وما كان أسعدني لو كانت لي أم من نوعك ، إذن لكنت غير ما أنا عليه الآن ...

لم تقل السيدة أيدس شيئاً بل أغلقت الباب عليه فأضحى في ظلام دامس لا ينفذ إليه من نور المطبخ إلا شعاع واهن منحدر من أحد شقوق الباب ، ومن هذا الشق ذاته كان بيتر يرى الوالدة تهيء عشاء وحيدها (توم) الذي يأتي بعد ساعة من المزرعة التي يعمل فيها . وقد بكّر (بيتر) يصور لنفسه جيئة صاحبه من عمله وما سيكون له من رأي في الذي اقترفه ؛ ولكنه أيقن بأنه لن يلقي عطفاً حبته به أمه أبداً ؛ وعلى الأخص فإن الصداقة التي تربطهما ليست من النوع الذي يسوغ مثل هذه الأفاعيل وإن كان كل منهما قد شق لنفسه في الحياة طريقاً يختلف عن الآخر ...

أقام بيتر في زاويته بين الأكياس المكدسة ثم استاق بينها ، ثم أخذته الأفكار ، ثم سطعت رائحة الطعام من المطبخ تسيل لعابه وتوقظ فيه الجوع ، على أنه انبعث فيه أمل في أن يطعم بعض هذا الذي يشم عند ما يؤوب (توم) . ولن تنكر السيدة أيدس عليه هذا على وجه التأكيد بعد أن علمت مبلغ جوعه وعرفت بعد الشقة التي وطد العزم على قطعها ...

وهنا أخذت الوقائع تتجلى له بصورة مؤلمة ، وهنا أيضاً سمع وقع أقدام أذهلته وأعادته إلى نفسه الخائفة ، فاحتقن وطفت ضربات قلبه إذ لابد أن يكون هؤلاء القادمون هم الحراس الموتورين وقد عرفوا مكمن الجاني فجاءوا يأخذونه من بيت صديقه وهم يعلمون أن هذه الصداقة تبرر العطف عليه . وقد أضاع اتزانه فانكمش في ركن ضيق من الزاوية انكماشاً ، وأخذ يلوم نفسه على اللجوء إلى هذا الكوخ الذي يرد على بال المتعقبين قبل أي مكان غيره . ثم ارتجف وتحشرجت أنفاسه وازدحمت الزفرات في صدره ولكن وقع الأقدام تعدى الكوخ ولم يقرع بابه ، وجاء من بعدهم السكون الذي هو في أكثر الأحوال أبلغ عبارة من الضوضاء

أطلت السيدة أيدس من جانب الزاوية عليه وقالت إنهم جماعة القلعة وقد رأيتهم في طريقهم يحملون مشاعلهم ، فلعل الصواب أن تنسل الآن من الطريق الماكسة إلى (كنت) حيث تأخذ القطار الذاهب إلى لندن فهذا خير لك وأبقى . وإن القطار ليبرح موضعه في الساعة العاشرة من هذا المساء ...

قال : إن هذا الذي تريده مصيب ولكني لا أملك من أجر السفر قرشاً

فلم تقل له شيئاً بل دلفت إلى أحد أدراج خزانة المطبخ وأخرجت له منه شيئاً من المال وقالت هذه سبعة دراهم تعينك على بلوغ لندن وتمنع عنك الطوى قليلا ، فاحتار الفتى كيف يشكرها ولكنها قالت لا تشكرني فإنني إنما أفعل ذلك من أجل (توم) وهذا يكفي إذ أنه كان يحبوك بعطفه دائماً ، وإنني لأرجو الله مخلصة أن لا تذوق من بعدها محناً أخرى . بل إنني شاعرة ببرد الطمأنينة لأنني أدري أنه لم يكن أحد ليعلم بأنك قد مررت بهذا الكوخ وهو بعينه السبب الذي يحدوني أن أستحثك على الخروج من هنا قبل أن يعود (توم) ، وإنني لأخشى أن يصحبه أحد أصحابه فينشأ لك طارىء من المحنة أنت عنه في غنى ... ثم إني أريد أن تعلم أنني لم أكن لأشجع نفسي على مخالفة ضميري في عصيان القانون في إيوائك لأنني أعلم بأن مقاتلة الحرس والدفاع عن النفس دونهم لا تشبه قتل إنسان بريء لا شأن له ، وعلى كل حال فإني أريد أن أنصرف عن هذا الموضوع وأضرب عنه صفحاً .

وقامت تفتح له باب الكوخ ليخرج ، ولكنها ما كادت تفعل حتى بدأت أصوات الأقدام تسمع بوضوح في نقطة قريبة .

قالت السيدة أيدس : لعل هذا توم ؛ ولكن لا فإن أصوات الأقدام تؤكد بأن العدد أكثر من واحد نخير لك أن تعود إلى زاويتك فإني أسمع كلاماً . اربض هناك حتى يمروا هذه المرة أيضاً

ذهب (بيتر) إلى حيث كان قابعاً بين الأكياس ، وتدانت الأصوات رويداً رويداً فتصور لحظة أنها ستمر كما حصل في المرة الماضية ولكنها تلبثت قليلا لتتجاوز القطعة المشوشبة من خارج الباب ، وبعد لحظة سمع الباب يقرع . . إذن هذا توم بعينه .

ارتعد بيتر من الخجل والقلق ، وألصق عينه بخصاص الباب وحدج المطبخ فألفى السيدة أيدس تدلف نحو باب الكوخ وما كادت تفتحها حتى دخل رجل إلى الداخل وسد الباب من ورائه فعرفه بيتر، أنه (قدلر) أحد الحراس الأربعة ، فجمد بيتر وتصلبت ساقاه فقد عرفوا مأواه وتأثروه وافتضح أمره فليس هناك من جدوى في استخفائه أبداً . على أنه لم يعد مستخفياً بعد الذي كان فما باله لم يختر مكاناً أحسن من هذا وأضمن لإفلاته ؟ وما باله لم يدفع عن نفسه خيراً من هذا الدفع ، وهنا وهنت ساقاه عن حمله

فجلس على الأكياس إعياء وغماً ...

وكانت سحنة الرجل في المطبخ تدل على أنه يعالج أمراً صعباً ويلوك كلمة جليلة على النفس المسكينة التي تواجهه فوقف صامتاً يطوي بيدين عصبيتين قبعته .

قالت له : ما ذا جرى ؟

قال : أريد أن أحادثك يا سيدتي

فأرهف بيتر أذنيه وتمنى أن لو استطاع أن يسكت قلبه ليتم له السماع ، ولكن مخاوفه وهنت عند ما تصور أن السيدة لن تفضح أمره مادام قد استشفع لها بابنها (توم) قال : لقد حملت إليك أنباء سيئة ، فانحرفت ، وقالت ما ذا تعني وأخذت سمتها نحو الباب فتشبث بها الرجل وقال لا تفعلي يا سيدتي حتى أبسط لك الأمر .

قالت له السيدة أيدس أسرع أيها الرجل فيما تقول ودفعته جانباً ، ولكنه أخذ يتكلم متلعثما مسرعا ويقول: حدث في أطراف الغابة نزاع، وذلك أن رجلا من السراق كان يريد أن يصطاد بعض الأرانب، وكان (توم) مع الحراس، وهنا كان الظلام حالكا فأطلق السارق بندقيته ولاذ بالفرار .

وأودى التعب بالمتكلم فاستأنى قليلا . أما بيتر فإنه استحال إلى إنسان من الخشب في الزاوية التي وقف فيها ، وقبل أن تقول السيدة كلمة خرج الرجل وأشار لجماعته فدخلوا يحملون جثة ووضعوها في وسط المطبخ .

قالت أيدس : أهو ميت ، وعلمت وقد تبعثر الدمع من عينيها أن نعم . أما بيتر فقد عز عليه الدمع بل استيأس وقنط ورأى أن قد حصحص الحق ولا سبيل إلى الهرب ...

ورأى بيتر أن الحياة جميلة في تلك اللحظة ولاسيما إذ تكون من مقوماتها فتاته التي يحبها ، ولكن حياته لم تعد بعد اليوم ملكاله بل هي ملك للسيدة أيدس تفعل بها ما تريد ...

كانت السيدة أيدس تجلس على الكرسي المجدول من السعف قرب الموقد وقد أعانها أحد الرجال على الجلوس وتقدم الثاني يصب لها من قارورة صغيرة نوعا من الشراب لعله ينعشها قليلا .

وقالوا لها بعد هذا إنهم لم يروا القاتل ولكنهم استطاعوا أن يظفروا ببندقيته التي أذهله عن أخذها هول الأمر وهي بعينها بندقية بيتر ولعله فعل فعلته غير عامد إذ أنه كان صديقا لتوم .

كان بيتر حينئذ منتصب القامة ينظر من شق الباب فرأى السيدة أيدس تتحامل على نفسها وتقوم على قدميها وتقف على رأس المائدة وتنظر في وجه الرجل الميت الذي انعكست عليه كل معاني الخلود ، ثم رآها تنظر إلى الرجال الذين تراجعوا للذهاب إلى صميم الغابة للتفتيش عن بيتر الجاني الأثيم . ثم رآها بعد هذا كله تمد يدها إلى جيب صدارها فتخرج مفتاح الباب الذي يتوارى بيتر وراءه ..

لقد سأل الرجل مدام أيدس هل رأت بيتر ذلك المساء فأجابت لا لم أره منذ يوم الثلاثاء ، فقال لها محدثها إذن سنفتش عنه وسنأتيك بمسز جين أيضا فأشارت برأسها بالإيجاب .

قالت السيدة أيدس لفدلر وكان آخر من بقي لديها : ساعدني على حمله إلى الداخل ، إلى الفراش ، إلى غرفة نومه . وتعاونت هي وهو على وضعه في سريره وخرج فدلر .

انتظرت السيدة أيدس حتى انعدمت حركة الأقدام في الدرب خارج كوخها ، وحينئذ جاءت إلى الزاوية التي يستكن فيها بيتر وهنا أخذته الرعدة من جديد ، لقد كان الأمر فوق أن يحتمل وكان الأشهى له أن يموت قبل أن تقع عينه على هذه السيدة ... سمع المفتاح يدور في القفل ولكنها لم تدخل هذه المرة ، بل فتحت عليه بابه فقط ثم تراجعت وأغلقت عليها الباب الذي يضم توم .

عرف (بيتر) ما ذا يجب أن يفعل فإن الشيء الوحيد الذي أرادته السيدة أيدس هو الشيء الوحيد الذي يستطيع أن يفعله .. فتح الباب بصمت وسكون وخرج ...

منيب الكيلاني



اللهم عفوك :

في مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري : « حكى الصابي عن بعض الرسل قال : دعينا إلى باب مسعود ، يعني ابن محمود ابن سبكتكين بغزنة ، فشاهدنا بالباب أصناف العسكر وملوك جرجان وطبرستان وخراسان والهند والسند والترك ، وقد أقيمت الفيلة عليها الأسرة والعماريات الملبسة بالذهب مرصعة بأنواع الجواهر ، وإذا بأربعة آلاف غلام مرد وقوف سماطين وفي أوساطهم مناطق الذهب ، وبأيديهم أعمدة الذهب ، ومسعود جالس في سرير من الذهب لم يوضع على الأرض مثله ، وعليه الفُرُش الفاخرة ، وعلى رأسه تاج مرصع بالجواهر واليواقيت ، وقد أحاط به الغلمان الخواص بأكمل زينة ، ثم قام مسعود إلى سماط من فضة عليه خمسون خواناً من الذهب ، على كل خوان خمسة أطباق من ذهب فيها أنواع من الأشربة ، فسقاهم الغلمان ، ثم قام مسعود إلى مجلس عظيم الأقطار ، فيه ألف دست من الذهب ، وأطباق كبار خسروانية ، فيها الكيزان ، وعلى كل طبق زرافة من الذهب ، وأطباق ذهب فيها المسك والعنبر والكافور ، وأشجار الذهب مرصعة بالجواهر واليواقيت، وشموع من ذهب في رأس كل شمعة قطعة من الياقوت الأحمر تلمع لمعان النار ، وأشجار العود قائمة بين ذلك ، وفي آخر المجلس رحى من ذهب تطحن المسك والكافور والعنبر ، وفي ناحية من المجلس بحيرة في جوانبها من الجواهر والعنبر والفصوص شيء يقصر الوصف عنه . وذكر أشياء أخر تحير الأسماع » ...

بر . . وشكرها :

كان عبيد الله بن عباس ابن عم النبي صلوات الله عليه من أكثر الناس جوداً وأعظمهم سخاء وبذلا ، وهو أول من مدّ الموائد على الطرق ، ومن جوده أنه أتاه رجل وهو بفناء داره فقال يا ابن عباس إن لي عندك يداً سابقة وقد احتجت إليها ، فصعد فيه بصره فلم يعرفه ثم قال : وما يدك عندنا ؟ قال الرجل : رأيتك في مرة واقفاً بزمزم ، وغلامك يمتح لك الماء منها ، والشمس قد صهرتك ، فظللتك بطرف ردائي حتى شربت

قال ابن عباس إني لأذكر ذلك ، وإنه ليتردد بين خاطري وفكري ، ثم قال لقيّمه : ما عندك ؟ قال : مائتا دينار وعشرة آلاف درهم ، قال ادفعها إليه ، وما أراها تفي بحق يده عندنا ...

واحدة بواحدة :

التقى برنارد شو الكاتب الساخر المعروف مرة بالممثل الهزلي المشهور شارلي شابلن ، فقال شو : إنني شديد الإعجاب بك يا مسيو شابلن ولكنني لم أشهد قط فلماً من أفلامك ، فرد عليه شابلن في سرعة قائلا : وأنا كذلك شديد الأعجاب بكتاباتك ولكني لم أقرأ منها شيئاً أبداً .

وكان المرحوم الشيخ عبد العزيز البشري جالساً مع بعض أصحابه فأقبل عليهم صديق فصافحهم جميعاً إلا الشيخ عبد العزيز ، فقال له أحد الحاضرين لماذا لم تسلم على الشيخ فقال : لا مؤاخذة لقد كنت أحسبه امرأة ! فرد الشيخ عبد العزيز : ولكني يا أخي كنت أحسبك رجلا ...

نصيحة للمؤلفين :

قال أبو عثمان الجاحظ : « ينبغي لمن كتب كتاباً أن لا يكتبه إلا على أن الناس كلهم له أعداء ، وكلهم عالم بالأمور ، وكلهم متفرغ له ، ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه غفلا ، ولا يرضى بالرأي الفطير ، فأن لابتداء الكتاب فتنة وعجباً ، فأذا سكنت الطبيعة ، وهدأت الحركة ، وتراجعت الأخلاط ، وعادت النفس وافرة أعاد النظر فيه ، فيتوقف عند فصوله توقف من يكون وزن طبعه في السلامة أنقص من وزن خوفه من العيب ، ويفهم معنى قول الشاعر :

إن الحديث تغر القوم خلوته ... حتى يلج بهم عي وإكثار

ويقف عند قولهم في المثل : كل مجر في الخلاء يسر ، فيخاف أن يعتريه ما اعترى من أجرى فرسه وحده أو خلا بعلمه عند فقد خصومه وأهل المنزلة من أهل صناعته ، ليعلم أن صاحب القلم

يعتريه ما يعترى المؤدب عند ضربه وعقابه ، فما أكثر من يعزم على خمسة أسواط فيضرب مائة ، لأنه ابتدأ الضرب وهو ساكن الطباع فأراه السكون أن الصواب فى الإقلال ، فلما ضرب تحرك دمه ، فأشاع فيه الحرارة ، فزاد فى غضبه ، فأراه الغضب أن الرأى فى الإكثار ، وكذلك صاحب القلم، فما أكثر من يبتدىء الكتاب وهو يريد مقدار سطرين ويكتب عشرة ، والحفظ مع الإقلال أمكن ، وهو مع الإكثار أبعد » ...

أى الحكمين أقسى :

لما حكم القضاة على سقراط الحكيم بالموت قال لهم : « لقد حكمتم علىّ بالموت لأنى لم أعلقكم ولم أخاطبكم بالكلام الذى تودون سماعه ، ولكننى غير نادم على ما فعلت . حكمتم علىّ بالموت والحق قد حكم عليكم بأنكم أشرار ظلمة » ...

المبدأ الأول للحكمة :

قيل لأحد الحكماء : من أى إنسان ينبغى أن تؤخذ مبادىء الحكمة فقال : من الأعمى لأنه لا يضع قدمه على الأرض إلا بعد أن يتحقق موضعه بعصاه ...

الأموات يحكمون الأحياء :

يقول جوستاف لوبون فى كتابه روح الاشتراكية : « إذا اجتمع عدد من الناس ليعالجوا مسألة سياسية أو دينية أوخلقية ، فالأموات هم الذين يتباحثون لا الأحياء ، وذلك لأن الأحياء إنما يتكلمون بروح أجدادهم وما سمعوه عنهم ، فليس كلامهم فى الحقيقة إلا صدى لنداء الأموات الذى لا مفر للأحياء من الإصاخة إليه » ...

العمل للعمل :

يقول الكاتب الأمريكى امرسون : « الطبيعة تقول للإنسان اعمل يا بنى . اعمل فى كل حين . اعمل سواء أكنت مأجوراً أو غير مأجور . كل ما عليك أن تعمل وجزاؤك لن يضيع ... اعمل مهما كان نوع العمل ومهما فشلت فلا تجبن ولا تيأس . إنك للعمل خلقت وبالعمل ستفوز ، وأقل جزائك على عمل تنجزه أنك أنجزته » ...

وظيفة للضحك :

قال السيو دى فاربنى : « إن الضحك احتجاج على عمل مناقض لأصول الاجتماع وتنبيه إلى سلوك النظام المتبع ، فهو إذن ذو وظيفة اجتماعية إصلاحية ، ولذلك انفرد الإنسان به دون الحيوان » .

أيد ثلاثة :

قال يونس النحوى: « الأيدى ثلاثة . يد بيضاء ويد خضراء ويد سوداء ، فاليد البيضاء هى الابتداء بالمعروف ، واليد الخضراء هى المكافأة على المعروف ، واليد السوداء هى المنُّ بالمعروف » .

يقول زنوج أفريقيا فى أمثالهم :

* إن ما يقال أمام أسد ميت لا يمكن أن يقال أمام أسد حى .
* الملك محق فى كل ما يقول سواء أكان باطلا أم حقاً .
* قد يكون من الحقيقة قولك إنك قتلت فيلا ، أما أن تقول إنك حملته فكذب .
* العالم يقوم على ثلاثة أشياء :- زرع الذرة ، وحصدها ، وأكلها .
* لا يتحول الرغيف إلى تمساح وإن أبقيته فى الماء عشر سنوات .
* إن ما يرضمه العجل هو ما أكلته البقرة .
* من لا يملك شيئاً لا يعاديه أحد .
* لسانك أسد فإن أطلقته قتلك .
* لا تعاشر من لا تعرف طباعه .
* الذكاء أفضل من القوة .
* حب امرأتك ولكن لا تأمن جانبها .
* الرجل الصالح لا يهجر أصدقاءه فى محنهم .

« الجاحظ »

سكك حـــديد الحكومة المصرية

تسيير قطار اكسبرس بين القاهرة ودمياط (رأس البر) عن طريق بلبيس

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه إبتداء من ١٢ ولغاية ٣٠ يونية سنة ١٩٤٧ يسير قطار اكسبرس (درجة أولى وثانية وثالثة وعربة بولمان) بين القاهرة ودمياط (طريق بلبيس) ثلاث مرات فى الأسبوع يغادر القاهرة فى الساعة ٤٥ ٧ ويصل إلى دمياط فى الساعة ٥٠ ١١ أيام الثلاثاء والخميس والسبت ويعود من دمياط فى الساعة ١٥ ١٧ ويصل إلى القاهرة فى الساعة ٢٠ ٢١ أيام الأربعاء والجمعة والأحد

وسيسير يومياً إبتداء من أول يولية سنة ١٩٤٧ لحين صدور إعلان آخر

وذلك وفقاً للمواعيد الآتية :

المحطات		٩٣٩ اكسبرس درجة ١ و٢ و٣ وعربة بولمان		المحطات		٩٤ اكسبرس درجة ١ و٢ و٣ وعربة بولمان	
مصر	قيام	٤٥	٧	دمياط	قيام	١٥	١٧
بلبيس	»	٤٨	٨	شربين	»	٥٨	١٧
الزقازيق	وصول	٠٨	٩	المنصورة	وصول	٢٢	١٨
	قيام	١٨	٩		قيام	٣٠	١٨
أبو كبير	»	٤٤	٩	السنبلاوين	»	٥٣	١٨
كفر صقر	»	٥٦	٩	كفر صقر	»	١٦	١٩
السنبلاوين	»	١٧	١٠	أبو كبير	»	٢٩	١٩
المنصورة	وصول	٣٨	١٠	الزقازيق	وصول	٥٣	١٩
	قيام	٤٥	١٠		قيام	٠٠	٢٠
شربين	»	١٠	١١	بلبيس	»	٢٠	٢٠
دمياط	وصول	٥٠	١١	مصر	وصول	٢٠	٢١

مطبعة الرسالة